# الأسلوبيَّة الوَظِيفيَّة بَيْنَ المُكوِّن النَّحْوِيِّ والتَّمَاسُك النَّصِّيِّ

## طَرْحٌ تأْصِيليٌّ للنَّحْو العَربيِّ الأسلوبيِّ في خُطْبة حِجَّة الوَدَاع

**ياسر محمد حسن علي***

yasser_ali@art.sohag.edu.eg

**مخلص:**

**هدف بحث "الأسلوبيَّة الوظِيفيَّة بَيْنَ المُكوِّن النَّحْوِيِّ والتَّمَاسُك النَّصِّيِّ: طَرْحٌ تأْصِيليٌّ للنَّحْو العَربيِّ الأسلوبيِّ في خُطْبة حِجَّة الوَدَاع" إلى استقصاء علاقة الأسلوبية الوظيفية- خاصة وَظِيفيَّة جاكبسون (R. Jackobson) - بكل من البنية النَّحْوِيَّة ونحو النص. فثَمَّة مُشاكلة بين النظرية الأسلوبية وبعض العناصر النحوية وتوظيفها من جانب، وكذلك معايير التماسك النصي، خاصة معياري السبك والحبك من جانب آخر؛ لبناء علاقة للتناظر والتأصيل، تكشف ما يمكن وصفه بـــ"النحو الأسلوبي" (Stylistic Grammar) في تراثنا اللغوي العربي، بوصفه مقدمة وتأصيلاً؛ لتطور النظرة وتحولها من نحو الجملة (Sentence Grammar) إلى نحو النص (Text Grammar) عبر بعض السياقات النحوية ذات المنحى الأسلوبي في العربية. وظَهير ذلك أنَّ كثيرًا من صور الظاهرة الأسلوبية لها ما يناظرها من مكونات الدرس النحوي. هذه الإفادة برزت أكثر عمقـــًا واستيعابـــًا في معايير النصية. وجاء التحقق من هذه العلاقات تطبيقـــًا على نص محدد، هو خُطْبة حِجَّة الوَدَاع؛ ليجمع منهج البحث الوصفيِّ بين التنظير والتطبيق، عند تحليل القضية في عدة مباحث، أبرزت النظرية الأسلوبية الوظيفية، وأبعاد توظيف العناصر النحوية فيها، وكيف اندمج ذلك كله في معايير التماسك النصي، خاصة السبك والحبك.**

**الكَلِمَاتُ المِفْتَاحِيَّة: الأسلوبية؛ التماسك؛ خطبة الوَدَاع؛ النص؛ الوظيفية.**

* قسم اللغة العربية – كلية الآداب– جامعة سوهاج.

## أولا: مقدمة:

### ١. حقل البحث وإشكاليته

إن الانتقال إلى عالم اللسانيات النصية قصدًا ونهجــاً تسارع في السنوات الأخيرة. فأدرك اللسانيون أهمية تجاوز دراسة الجملة ببنيتها الإسنادية المعيارية، إلى البحث عن نموذج أكثر نشاطــاً واشتمالاً على عناصر ذات علاقات اتصالية، تتجاوز حدَّ الجملة التَّامَّة. وهذا توجه نحو بعدٍ أكثر اتصالاً بين مستعملي اللغة من جانب، وموقف موازٍ للانتقال من الجانب النظري التعليمي- على جدواه- في الدراسة اللغوية إلى البعد التداولي الفعَّال، الذي يرتبط بسياق الواقع اللغوي وفاعليته.

فاهتم الدرس اللساني بدراسة العبارات والخطاب والنص؛ سعيــاً لبناء فكري لساني شمولي، يحمل رؤية مأمولة في الإضافة والاختلاف دون تنازع أو تنحية لنحو الجملة، بل سير المرافقة والإتمام والإفادة. فبادر كثير من اللغويين إلى تأصيل لسانيات النص ومعاييره في تراثهم، حتى تراكم نتاج ثرٌّ في العربية والإنجليزية والألمانية...وغيرها من اللغات، سواء ما اتصل بالفكرة العامة أو عناصر هذا الاتجاه. وقد عزَّز هذه الانطلاقة منطقية التطور اللغوي، وعلاقة الاتصال بين نحو الجملة ونحو النص على حدٍّ سواء.

إن فحوى نحو النص يقوم على التمدد في شبكة العلاقات الداخلية بين الوحدات اللغوية، في صورة تغاير محدودية حضورها في نحو الجملة، وإن كانت بنية بعض الأساليب النحوية كالشرط والنداء...إلخ، كما في العربية تتضمن اتصالا سياقيــاً وإحالات وحالة من التماسك اللفظي والدلالي، يحاكي

كثيرا مما طرحه نحو النص، أو يعد مدخلا له. كذلك فإن علاقات البناء الأسلوبي- ذاتها- أكثر توسعــاً مما هو واقع في نحو الجملة، مما يعضد البحث في العلاقة المركبة بين الأسلوبية الوظيفية والمكون النحوي من جانب وحضورهما معا في لسانيات النص من جانب آخر، وهي الإشكالية الرئيسة لفكرة البحث، التي لم أقف على دراسة سابقة، تؤصل لهذه العلاقة المركبة. فالأسلوبية حملت فاعلية البعد الوظيفي التواصلي للغة وأثرها في مستعملها؛ مما يرجح أن تكون السياق الرابط والمرحلي بين نحو الجملة ونحو النص. فثمة مشاكلة مُرجَّحة بين أسس النظرية الأسلوبية عامة- والأسلوبية الوظيفية عند رومان جاكبسون خاصة- وتوظيف بعض العناصر النحوية وكذلك معايير النصية.

**٢. أهداف البحث**

على الرغم من وجود هدف رئيس، سعت هذه المعالجة إليه، يكمن في إبراز علاقة المكون النحوي بالأسلوب من طرف، وعلاقة لسانيات النص بالأسلوبية من طرف موازٍ؛ فهناك عدَّة أهداف مكمِّلة لهذا الهدف. ومن ذلك دراسة ما يمكن عدُّه مدخلا للنحو الأسلوبي في العربية أو إشارات له.

كذلك جَدَّ البحث في تحديد أهم ركائز الأسلوبية الوظيفية وخصائصها، خاصة نموذج التواصل اللغوي ووظائفه لجاكبسون. وكذلك كشف علاقة عناصر الأسلوبية الوظيفية بسياقات القاعدة النحوية التقليدية، خاصة ذات التمدد السياقي في صور العدول النحوي، وإتباع ذلك بالتماس صورة بعض

المعايير النصية –تطبيقـــاً على السبك والحبك– ومواطن تقاربها مع الأسلوبية الوظيفية، التي ضمتها خطبة حجة الوداع وصورة التماسك الأسلوبي فيها.

**٣. منهج البحث وخطته**

اعتمد البحث على الوصفية منهجـــاً؛ لوصف الظاهرة الأسلوبية وعلاقتها بكل من المكون النحوي والتماسك النصي، وتطبيق معطيات هذه العلاقة على سياق خطبة حجة الوداع، ورصد صور السبك والحبك توازنـــاً بين لسانيات النص والأسلوبية، مع كشف توظيف العنصر النحوي في بنية الأسلوب.

وتضمنت خطة البحث؛ مقدمة، عرضت حقل البحث، وإشكاليته، وأهدافه، ومنهجه، وخطته. وناقش المدخل علاقة معيارية النحو العربي بالتوسع الأسلوبي. وجاءت المباحث، على النحو الآتي:

**المبحث الأول:** النظرية الأسلوبية بين التوظيف النقدي والدرس اللساني

**المبحث الثاني:** الأسلوبية الوظيفية والمكون النحوي ودائرة التماسك النصي

**المبحث الثالث:** السبك والحبك في خطبة حجة الوداع بين النحو الأسلوبي والأسلوبية الوظيفية في الخطاب النبوي.

وختمت المحاورة البحثية بأهم النتائج والمقترحات، التي قد تمثَّل إشارات لمشاريع بحثية مستقبلية، ثمَّ تبع ذلك فهرس المصادر والمراجع، التي عضدت مناقشات إشكالية البحث ومسائله.

**- مدخل:**

تأصَّل التقعيد في العربية على غاية تحقق سلامة السياق والقياس عليه، بما يتضمنه من قصد موجه للسامع، وقرينة هذا التحقق هو الإفادة، التي اقترنت عند النحاة العرب بحدَّ الوحدة التركيبة الرئيسة "الجملة"، وليس الكلام العربي؛ لأن "الكلام هو القول المفيد بالقصد، والمراد بالمفيد ما دل على معنى يحسن السكوت عليه. والجملة عبارة عن الفعل وفاعله كـــ"قَامَ زيدٌ"، والمبتدأ وخبره كـــ"زيدٌ قائمٌ"، وما كان بمنزلة أحدهما نحو: ضُرب اللصُّ، وأقائمَ الزيدانِ وكان زيدٌ قائمـــاً وظننته قائما، وبهذا يظهر لك أنهما ليسا مترافدين، كما يتوهمه كثير من الناس"[١]. فالجملة وحدة نحوية لها ضابطها عند النحاة؛ والكلام سياق استعمال غير واجب الضبط، إنما يقع وفق مقام استعماله، وتبعـــاً لمستخدمه.

فكان التحقق من قوة المنظومة النحوية والنهج العلمي السوي يرتكز على وضع قواعد الجملة (الافتراض التنظيري)، ويرتكز على اختبارها في الواقع اللغوي بالممارسة (الكلام)، الذي ينضبط بالمحاكاة للنموذج النحوي المطمئَن له (ما عرف بمعايير التقعيد المكانية والزمانية).

فكان الضابط المعياري للنموذج (السياق/ الشاهد/ المثال) الموسوم بالاطراد والفصاحة وجهة وقصدًا نحويـــاًّ لا حَيد عنه، مع تعليل غير المطَّرد وتبرير وجوده، "فالغرض في النحو تبيين صواب الكلام من خطئه على مذهب العرب بطريق القياس"[٢]. وهو المشتهر بالمنهج المعياري في دراسة النحو.

ومع تطور الدراسات النحوية كان هناك اتجاه لتجاوز النحو تلك المعيارية إلى الوصفية، بالتحول نحو علاقات ما فوق صحة القاعدة دون التصادم معها، بل كشف خصائص التنظيم اللغوي الواقعي المستعمل، خاصة في علاقة الاتصال، التي لم تغب عن نحونا العربي في أبسط صورها التقليدية في الجملة الأسلوبية، التي انبسطت في الأسلوب الإنشائي، وتمركزت تمركزا خاصـــاً في بعض أبواب النحو العربي، "ومنها أن بعض الجمل قد تحتاج إلى جملة ثانية احتياج المفرد إلى المفرد. وذلك في الشرط وجزائه، والقسم وجوابه. فالشرط نحو قولك: إن قام زيد قام عمرو. والقسم نحو قولك: أقسم ليقومن زيد. فحاجة الجملة الأولى إلى الجملة الثانية كحاجة الجزء الأول من الجملة إلى الجزء الثاني؛ نحو زيد أخوك، وقام أبوك"(٣).

فاتسم نحو الجملة في العربية بتمازج الاتجاهات بصورة متفاوتة غير مكتملة، وكذلك بسمات عامة مُتتامَّة، ولو لم تغلب كلها عليه، نحو:

- التأصيل (اتباع سمت كلام العرب)
- الذاتية والانعزال (الجملة وحدة مستقلة، ولها أنماطها المحددة).
- المعيارية (القياس على الكلام العربي لتَبْيين صَوَاب الْكَلَام من خطئه)
- التداولية الجزئية (وضوح القصد وتحقق الإفادة)
- الاتصال (العلاقة الرئيسة بين طرفي الإسناد، والفاعلية، والمفعولية..)
- أسلوبية التركيب (عدد من الجمل الأسلوبية: نداء، شرط، قسم،...)

فإذا كات المعيارية وقواعد الضبط والقياس هي السمة العامة؛ توافقـــاً مع غاية النحو العربي وأهدافه ومرحلة التقعيد؛ فقد امتلك نحو الجملة في العربية مقومات التطور كما ظهرت، خاصة في دراسة الجملة الأسلوبية وعلاقاتها.

لكنَّ هناك عدة عوامل أضعفت الدرس النحوي الوصفي وكذلك النصي، نحو التوجه نحو نماذج لغوية محددة دون أخرى، والحرص على الفصل التام بين النحو والدلالة لفترة طويلة، ومعالجة النموذج النحوي معالجة مستقلة دون بقية مكونات اللغة، على الرغم من وجود إشارات علماء اللغة والبيان – نحو ابن جني والجرجاني والسكاكي– إلى وجود علاقة طبيعية ومنطقية بين مكونات الكلام. وهو تنبيه نحو علاقة النحو بالدلالة والمعني، ليكون مقدمة لنحو اتصالي استعمالي، لكن البلاغة كانت حقله الرحب أكثر من النحو.

فتحقق الإفادة في الجملة النحوية– نفسها– بإدراك المقاصد التي تكشفها المعاني، لا يقع دون تعلق عناصر التركيب النحوي المتماسك الأجزاء، كما رأي الجرجاني ذلك بقوله:"لو بقينا الدهر الأطول نصعد ونصوب، ونبحث وننقب، نبتغي كلمة قد اتصلت بصاحبة لها، ولفظة قد انتظمت مع أختها، من غير أن توخي فيما بينهما معنى من معاني النحو، طلبنا ممتنعا، وثنينا مطايا الفكر ظلما. فإن كان ههنا من يشك في ذلك، ويزعم أنه قد علم لاتصال الكلم بعضها ببعض، وانتظام الألفاظ بعضها مع بعض، معاني غير معاني النحو، فإنا نقول له: هات، فبين لنا تلك المعاني، وأرنا مكانها، واهدنا لها، فلعلك قد أوتيت علما قد حجب عنا، وفتح لك باب قد أغلق دوننا"(٤).

وهذا النص تحدٍّ لكل متجاهل للعلاقة اللزومية بين النحو والمعنى أكثر من كونه خطابـــاً نقديـــاًّ تحليليـــاًّ،وعرضـــاً لأساس نظرية النظم عند الجرجاني. مما يمكننا القول: إن جهود الجرجاني ومن تلاه مثَّلت نشاطـــاً لغويـــاًّ، يمهد لما يمكن عده من قبيل علاقة النحو بسياق استعماله ومستعمله وفق مرحلته التاريخية، التي تطورت تطورا تنظيمـــاً واصطلاحا في الفكر اللغوي الغربي، بتجاوز علاقات الجملة المحدودة على مستوى أكبر، وهوالأسلوب (Style) قبل فكرة النصية، ثمَّ لم يجد اللغوي الغربي وحدة تجمع بين النحو وعناصر الأسلوب والسياق في حلقة واحدة مثل كينونة النص (Text)، الذي تغيرت النظرة إليه، ليمثَّل وحدة دلالية[٥] ذات تكوين نحوي متصل، والتعامل معه على أنه حدث فعلي (Actual Act)، خاصة في علاقات السياق المتحقق (المنجز الاتصالي) ووظيفة المكونات النحوية واتساعها؛ لوصف حقيقة القول الكلامي وأسلوبه، "فالقول لن يوصف – فقط– باعتبار بنيته الداخلية، والمعنى المسند إليه، بل سيوصف –أيضا– بعدِّه الفعل المنجز (إنتاج تواصلي)[٦]، خاصة في ظل الوعي بأهمية النمط المكافئ أو الموازي له، وهو الخطاب (Discourse).

وهذه النظرة للنص تتجاوز الحدَّ المعياري للنص نفسه، على أنه "سلسلة من الجمل، كل منها يفيد السامع فائدة يحسن السكوت عليها، وهو مجرد حاصل جمع للجمل الداخلة في تشكيله"[٧]. فهناك عناصر سياقية وتداولية أخرى لابد من التنبه لأثرها، يمكن ردها لعلاقة التداخل والتمازج مع الخطاب.

بناء على ذلك تشكلت منظومة قاعدية أسلوبية في صورة مكونات لهذا النحو الأسلوبي أو لسانيات النص، بوصفه العالم اللغوي الأكثر اتساعـاً للحدث المنجز. وبذلك تكون الأسلوبية- خاصة وظيفية رومان جاكبسون- والمكون النحوي لهما أثرهما التأصيلي في بنية النحو الأسلوبي ( Stylistic Grammar)؛ الذي تطور في صورة لسانيات النص.

فمواطن التشابه بين وظيفة كل اتجاهٍ ترجح أن تكون علاقة الأسلوبية الوظيفية بالجملة النحوية – ذات البعد الأسلوبي- بلسانيات النص ليست سوى تأصيل نظري جديد لهذا الاتجاه، و لكن وفق اتجاه موازٍ. انطلق من النحو ثمَّ بعض أساليب الجملة إلى الأسلوبية، ثم جرى توسع لهذه العناصر في لسانيات النص بمعاييره المختلفة، سواء ما جاء ببنيته النحوية منها أو ما كان متأثرًا بالمكون الأسلوبي أو خصائصه الاتصالية. بناء على تلك الرؤية يمكن تحليل هذا التطور في نحونا العربي، خاصة أنه يتضمن عديدا من العناصر السياقية والمقامية المرتبطة بظروف تكوين سياقات الشواهد والنصوص، التي كانت موضع الاستدلال القاعدي أو التحليل الأسلوبي- خاصة في معاني القرآن وعلم المناسبة وأسباب النزول- الذي له حضور بارز في تراثنا العربي.

ختاما...اتخذت هذه المناقشة نصـاً محددًا ذا بعد اتصالي واضح (مرسل- سياق- رسالة- متلق)؛ بما عرضه أسلوب خطبة حجة الوداع في هذه المعالجة تحليلاً وتوظيفـاً؛ بقصد الوقوف على بعض الأبعاد الاتصالية اللسانية تعضيدًا و تمثيلا لعلاقة الأسلوبية الوظيفية بلسانيات النص، خاصة معياري السبك والحبك.

## المبحث الأول

## النظرية الأسلوبية بين التوظيف النقدي والدرس اللساني

**أوَّلا: الأسلوب والأسلوبية الوظيفية: تأصيلاً واختصاصـــاً**

تأسست النظرية الأسلوبية العامة على هذا النموذج اللساني الخاص، وهو "الأسلوب" (Style)، الذي يقع في دائرة العملية الاتصالية اللغوية، بوصفه جامعـــاً لعناصرها الرئيسة: المنتج، والمتلقي، والنص. وبين دلالة اللفظ لغة واصطلاحـــاً توجيه لإشارات لافتة. فمصطلح "الأسلوب" و"الأسلوبية"– لغة– يعود إلى الجذر (سلب). الذي ورد فيه "السين واللام والباء أصل واحد، وهو أخذ الشيء بخفة واختطاف"[٨].وقيل: "سلبت الشئ سلبا. والاستلاب: الاختلاس. والأسلوب بالضم: الفن، يقال أخذ فلان في أساليب من القول، أي في فنون منه"[٩]، وقد ورد:"قد سلك أسلوبه: طريقته، وكلامه على أساليب حسنة"[١٠]. وكذلك "يقال للسطر من النخيل: أسلوب. وكل طريق ممتد، فهو أسلوب. قال: والأسلوب الطريق، والوجه، والمذهب. ويقال: أنتم في أسلوب سوء، ويجمع أساليب. والأسلوب: الطريق تأخذ فيه. والأسلوب، بالضمِّ: الفن؛ يقال: أخذ فلان في أساليب من القول، أي: أفانين منه؛ وإن أنفه لفِي أسلوب إذا كان متكبرًا"[١١].

ويقال:"وكلُّ طريقٍ ممتدَ فَهُوَ أسلوب، والأسلوب: الوجهُ والطّريق وَالْمذهب، يُقَال: أنتُم فِي أسلوب شَرّ، وَيجمع أَساليب"[١٢]. وقيل: "وهو على أسلوب من أساليب القوم، أي: على طريق من طرقهم"[١٣]. وقيل: "الطَّرِيق المستوي، وَمِنْه أَخذ فِي أساليب من القَوْل: أَي ضُرُوب مِنْهُ"[١٤].

وهذا وقوف على المعنى العام للأسلوب، مع ربطه بالذوات المختصة به، وهو العنصر البشري، المتمثَّل في لفظ "الأقوام"؛ أي: لكل قوم أسلوبهم، وطريقتهم في التعامل فيما بينهم ومع بعضهم بعضـــاً. وفي كتاب "أساس البلاغة" خصص صاحبه معنى الأسلوب في النهج المتبع الخاص، أو تقفي جيد القول وحسنه على جهة تخصيص الفعل اللغوي، بقوله:"... سلكت أسلوب فلان: طريقته وكلامه على أساليب حسنة"(١٥).

وهي رؤية تتفق وغاية الأسلوبية، التي تركز على الجماليات الخاصة أو السمات المميزة للعمل؛ ومن ثمَّ ترتبط دلالة الأسلوب–عامة– بعدة معان، أبرزها: "الأخذ والاختلاس"، و"الفن"، و"الطَّريق"، و"الوجه"، و"المَذْهَب"، و"الطريقة"، و"طريقة الكتابة"، و"السِّمة...إلخ".

ولقد ظهر أثر هذه الدلالات اللغوية المختلفة في تشكيل البعد الاصطلاحي لهذين المصطلحين، وفكرة المنهج الأسلوبي، أو النظرية الأسلوبية عامة، التي تأسست على الطريقة الأدبية أو الفنية الخاصة كتابةً وسمة للنصوص الأدبية، أو "اختيار الشكل "الطريقة" للتعبير عن المحتوى "المادة اللغوية"(١٦). حيث يمثَّل "الأسلوب طريقة استخدام اللغة في سياق معين؛ لتصوير فكرة معينة"(١٧).

فالأسلوب علاقة بين اللغة الخاصة وأداء المبدع والعمل أو النص، حتى عدَّه ليو سبتزر (Leo Spitzer) "انحراف أسلوبي فردي عن المعيار العام"(١٨)؛ لتجمع الدلالات العامة للأسلوب في نظر الدارسين بين الطريقة أو الصياغة وحتى الخصائص، ليكون "الأسلوب هو.

١- طريقة وضع الأفكار في كلمات.

٢- نمط له خصوصيته في الصياغة والتعبير في لغة الكتابة أو لغة الحديث.

٣- الخصائص المميزة لنص أدبي، والمتعلقة بشكل التعبير أكثر من تعلقها بالفكرة، التي يقوم النص الأدبي بتوصيلها"[١٩].

كذلك اتسعت النظرة إلى تقسيم أبعاد الأسلوب ودائرة خصوصيته، ليجمع بين كل من: النص، والمبدع، والمتلقي، والسياق."وأبرز هذه التقسيمات المنهجية للأسلوب ما يأتي:

- مقصد الكاتب أو المتحدث (كقولك أسلوب فكاهي).
- تقييم المتلقي (مثل من يحكم بأنه أسلوب غير دقيق).
- السياق (كقول القائل بأنه غير ملائم لواقع الحال؛ أي نطاق الأعراف).
- الزاوية الجمالية (مثل وصف الأسلوب بالزخرفة اللفظية).
- مستوى اللغة (الأسلوب الفصيح، أو العامي...).
- الطبقة الاجتماعية (مثل أسلوب أبناء المدن أو أبناء الريف)..."[٢٠].

**ثانيا: تأصيل التراث العربي للأسلوب**

وإذا كان النص يمثَّل النموذج الفعلي للتجربة الإبداعية، فهو وعاء تحوُّل الفكرة في عالم المبدع وتصوراته الأولى إلى حدث نشطٍ، ثم عملٍ، له بنيته وسماته، التي يقف عليها المتلقي والناقد معـــًا، ويتخذ منها موقفا فنيـــًّا. وتأتي اللغة أبرز معبِّر وكاشف لهيكل النص وفحواه وخصائصه، التي تتنوع بين ما يرتبط بظاهر النص من جماليات تصويرية أو ما يكون خبيئـــًا خلف بنيته اللغوية الشكلية.

وكما نشأت جلُّ العلوم العربية في ظلال القرآن وخدمة له- في الآن نفسه- نشأ الاهتمام بالأسلوب عند العرب، مرتبطـــاً بإعجاز أجلِّ نصٍّ أسلوبـــاً وفحوىً، وهو القرآن؛ جلاءً لأبعاد جماله وتَبْيينـــاً لعظمة بنائه.

فقد سعى علماء الإعجاز القرآني وعلماء التفسير- على حدٍّ سواء- إلى سبر خصوصية الأسلوب القرآني وعرض مناحي الإعجاز ومكامنه، وجاء هذا المسلك توافقـــاً مع فهم فكرة الأسلوب وغايته في القرآن الكريم، التي اقترنت بتفرد طريقة القرآن الكريم في العرض والسرد، والوعظ والأمر والنهي، والترغيب والترهيب، وبنسق معجز في البنية والتركيب، وكذلك في التشبيه والتمثيل والتضمين. إنه التأليف العجيب، السامي عن كل طريقة ونهج في خطابه وحواره، وبناء على ذلك كان "استخدام القدماء لكلمة الأسلوب قد ارتبط بفَهْمهم للكلام الإلهي ومقارنته بالكلام البشري، كما ارتبط بإدراكهم لوجود جانبين للأسلوب: أحدهما خفيّ غير ملموس، والآخر متجسّد في الصياغة اللغوية"(٢١).

أما ابن خلدون؛ فشبَه الأسلوب بالقالب، مشيرًا إلى وظيفة الخيال فيه، وأرجع حسن قوامه إلى حسن تخيُّر الألفاظ وبراعة رصفِها، كما جاء قوله عن الأسلوب:"عبارة عن المنوال الذي ينسج فيه التراكيب أو القالب الذي يفرغ فيه، وإنما يرجع إلى صورة ذهنية للتركيب كليـــاً باعتبار انطباقها على تركيب خاص، وتلك الصورة التي ينتزعها الذهن من أعيان التراكيب وأشخاصها، ويعيدها في الخيال كالقالب والمنوال، ثمَ ينتقي التراكيب الصحيحة

عند العرب باعتبار الإعراب والبيان فيرصَها فيه رصــاً"[٢٢]. وهذا وصف للأسلوب، يخصُّ طريقة صياغته وتأليفه، وجمع لخصائصه التركيبية والفنية.

ولم تختلف نظرة اللسانيين الحداثيين عن الرؤية العامة للأسلوب، التي حدَّدوها بخصوصية الطريقة التعبيرية عن اللغة ومكوناتها، بما في ذلك طريقة الصياغة المميزة عند المبدع وعمله، فالأسلوب عند بييرجيرو- أحد أبرز الأسلوبيين الغربيين-: "طريقة في الكتابة. وهو استخدام الكاتب لأدوات تعبيرية من أجل غايات أدبية. ويتميز في النتيجة من القواعد التي تحدد معنى الأشكال وصوابها"[٢٣]. وربط – بذلك- بييرجيرو في منهجه الأسلوبي بين المبدع وطريقة الإبداع وأدواته وقواعده. وهي الرؤية الأكثر رواجــاً في الدرس الأسلوبي، الذي يربط الخصوصية بأطراف عدة للتجربة الإبداعية.

وعلى الرغم من خروج "علم الأسلوب" عند كثير من الدارسين عن تأصيله اللغوي في تطبيقات الدرس الأدبي، ونزوعه نحو الدرس الأدبي والنقدي؛ فسيظل "علم الأسلوب فرع من فروع الدرس اللغوي الحديث يهتم ببيان الخصائص، التي تميز كتابات أديب ما، أو تميز نوعــاً من الأنواع الأدبية بما يشيع في هذه أو تلك من صيغ صرفية مخصوصة، أو أنواع معينة من الجمل والتراكيب، أو مفردات يؤثرها صاحب النص الأدبي"[٢٤].

**ثالثا: النظرية الأسلوبية والدرس اللساني**

تهدف النظرية الأسلوبية إلى "البحث عن الأسس الموضوعية لإرساء علم الأسلوب"[٢٥]. وقيل في منهجها أنه ما يختص بــ"تتبع الخصائص داخل اللغة

اليومية، ثمَ استكشاف الجوانب العاطفية والتأثيرية والانفعالية التي تميَز أداء عن أداء"[٢٦]. فهي منهج كاشف لجماليات النص وخصوصيته في الآن نفسه.

وعلى الرغم من الميل إلى حداثة الأسلوبية، فإن التأصيل لجذورها الأولى أو البحث عن بداياتها قد شاع ربطه بالمنهج البنيوي وبمؤسسه العالم السويسري فرديناند دي سوسير( ١٨٥٧- ١٩١٣م)، غير أنَ تلميذه شارل بالي (١٨٦٥-١٩٤٧م) هو الذي أسس قواعدها عام ١٩٠٢م[٢٧]. وإن كانت الأسلوبية وفق هذه الرؤية تنحو منحى الجانب اللساني وخصائص الكلام بوصفه "الفعل الفردي"[٢٨].

وعلى ذلك يمكن القول :إن الأسلوبية منهج يهدف إلى دراسة النص وقراءته عن طريق لغته، وما يعرضه من خيارات أسلوبية على مختلف المستويات، النحوية، واللفظية، والصوتية، والشكلية. ومن ناحية أخرى "يسعى المنهج الأسلوبي- أيضـــاً- إلى دراسة أساليب الكتـــَّاب وتوضيح التمايز بينهم عن طريق قدراتهم على توظيف معاجمهم اللغوية والفنية من جهة، ومدى قدراتهم في التأثير في المتلقي من جهة أخرى"[٢٩].

وفي كلا المفهومين توجيه صوب الخصائص المميزة للنص، وهو جوهر المنهج الأسلوبي. فهو لا يهدف إلى مجرد التحليل والرصد لمكونات النص، بل يبرز أكثر هذه الجماليات تفردًا وتميزًا. حيث يضع بورة التركيز على خصوصية ما يقدمه العمل (النص)، بما يختص به، وبما يتفرد به. فالأسلوبية نظرية ترتكز على "دراسة للمتغيرات اللسانية إزاء المعيار القاعدي"[٣٠]؛ ومن

ثمَّ فالأسلوبية فرع ألسني، قوامه كشف مكامن اللغة وجمالياتها الخاصة، لتمثّل نموذجـــاً للنظرية النقدية اللغوية العامة.

لقد كان اللسانيات مصدرًا لحقول معرفية عدة، منطلقها توظيف اللغة ومكوناتها، ثم الانطلاق نحو ما وراء اللغة (Meta-language)، ومضامينها وإشاراتها وجمال تعبيراتها، سواء ما اتصل بدوالها أو مدلولاتها. ولقد تطورت اللسانيات تطورا سريعـــاً، فانتقلت من دراسة الجملة كمنجز بالإمكان، إلى دراسة العبارة كمنجز بالفعل، كما انتقلت من دائرة التركيب في النحو التقليدي المعياري إلى دائرة التركيب في بناء النص، واتسعت ميادينها، فغطت ما كان يعد من خصوصيات غيرها، واتصلت بالعلوم الاجتماعية، والفلسفة، وعلم النفس، والأنثروبولوجيا، والأدب(٣١).

هذا التنوع كان مهيأ طبيعيـــاً لظهور الأسلوبية بدائرتها المتسعة. فإذا كانت لسانيات دي سوسير تأسست عليها أسلوبية "بالي"، فإن هذه اللسانيات – نفسها– قد نتج عنها البنيوية، التي احتكت بالنقد الأدبي، فشكلا–معـــا– "شعرية" جاكبسون، و"إنشائية "تودوروف، و"أسلوبية" ريفاتير. ولئن اعتمدت كل هذه المدارس على رصيد لساني من المعارف، فإن الأسلوبية –معها– قد تبوأت منزلة المعرفة المختصة بذاتها أصولاً ومناهج(٣٢).

ولعل ذلك يؤول إلى دعائم المنهج الأسلوبي– ذاته– القائم على الاختيار، والتركيب، والانزياح، وجميعهم يرتكز على التفرد سياقـــاً وأثرًا.

وعلى أثر تلك العلاقة المتداخلة بين اللسانيات والأبعاد النقدية والتعبيرية تفرعت الأسلوبية إلى اتجاهات عدة، تجتمع في بؤرة لغوية النص والأثر الإبداعي معـــاً، حتى قسمها "جيرو" إلى أربعة أقسام، هي:

١) الأسلوبية الوصفية أو أسلوبية التعبير بريادة شارل بالي.

٢) الأسلوبية التكوينية أو أسلوبية الفرد. ويسميها بعضهم بـــ"الأسلوبية الأدبية" أو"الأسلوبية النقدية"، وبعضهم الآخر يصفها بـــ"أسلوبية الكاتب"؛ لمنحاها الأدبي وعلاقتها بالنقد، ورائدها (ليو سبتزر)، وتعنى بظروف الكتابة و نفسية الكاتب.

٣) الأسلوبية الوظيفية: يمثِّلها جاكبسون، وتعنى بوظائف اللغة ونظريات التواصل. (بؤرة هذه الدراسة)

٤) الأسلوبية البنيوية: ويمثِّلها ريفاتير وجاكبسون، وتنظر للنص على أنه بنية خاصة أو جهاز لغوي، يستمد الخطاب قيمه الأسلوبية منه[٣٣].

وقدم جاكبسون الأسلوبية الوظيفية في صورة واعية تجمع عناصر الأسلوب واللغة والتلقي معا، فكانت مزجـــاً بين مفهوم العملية التواصلية اللسانية والوظيفية الشعرية. لقد ظهر تأثر جاكبسون بآراء كل من دي سوسير (F. de Saussure)، وكارل بوهلر (Karl Büler) في تكوين الخلفية اللسانية، التي وجهت أعمال "جاكبسون"وهو يحاول إخراج اللسانيات من مأزق القصور على المنظومة اللغوية المعتمدة على جملة من العلامات والرموز[٣٤].

وفي ستينيَّات القرن العشرين خرجت النظرية ناضجة، وأتبعها جاكبسون بدراسات عدة[٣٥] تكشف خصائص كل من الشعرية (Poetics)، والألسنية

(Lingustics) والاتصال اللغوي (Lingustic Communication)، وعلاقتها ببعضها بعضـــاً. ولا غرو –إذن – في إطار هذه الرؤية الواسعة أن تبدو علاقة الأسلوب بالدرس اللساني ووظائفه علاقة وطيدة في الغاية والتكوين.

وقد لاقت نظرية التواصل اللغوي أو وظائف اللغة عند جاكبسون (Jakobson's Functions of Language) نجاحـــاً كبيرًا، واستمرت لفترة طويلة نموذجـــاً لتحليل النَّصّ، وصورة للعملية النَّصّية برمتها، لا تنازعها نظرية أخرى، إلى أن ظهرت نظريات أخرى بعدها، قامت على فكرة هذه النظرية في فكرتها العامة، أو قاسمتها في بعض مكوناتها، وبعضها الآخر حاول أن ينفرد عنها بالاهتمام بأحد عناصر العملية النصية، خاصة التلقي بوصفه العنصر المؤثر والمهم.

وتبدأ الأسلوبية الوظيفية، كما تمثَّلها نظرية التواصل اللغوي –عامة – عند جاكبسون بمرسل النَّصّ(Addresser) ، وهو صاحب النَّصّ في تلك العملية، الذي يقوم – في الغالب– بإنتاج النَّصّ و تحويله من مجرد فكرة أو حدث داخلي يتشكل في ذاكرته، مشكِّلا رسالة، ثم يطرحها إلى عالم التلقي، بسياق المعايشة أو الاختبار(Context) ، لينتهي بالمتلقي (Addressee) على اختلاف صوره عبر قناة اتصال (Contact) ، تمرعن طريقها رسالة (Message) لها شفرة (Code) محددة، "وهي عناصر العملية الاتصالية"(٣٦).

وفحص هذا النموذج التواصلي اللغوي يشير إلى أن المكون اللساني ووظائفه كان حاضرًا ومشكلاً رئيســـاً في بنية عناصره ووظائفها، حيث

تظهر الوظائف اللسانية بدءًا من نموذج بوهلر (ثلاثي الوظائف: الانفعالية، والإفهامية، والمرجعية) وصولاً إلى نموذج جاكبسون السابق(٣٧).

فالأسلوبية الوظيفية عند جاكبسون صورة، تداخلت فيها انزياحات نحوية، وتوظيف خاصٌّ لمستعمل النص وغاياته، كما تنبهت إلى ذلك معايير النصية في المقصدية (Intentionaliy) والمقبولية (Acceptability) ، حيث توجهت الرؤية العامة في اللسانيات الحديثة– مثل الأسلوبية– نحو النظر إلى النص من زاوية نظر "المستمع" أو"القارئ"، فجعلته تابعـــاً لمقصدية الأثر(٣٨). هذا الأثر تضاعفت سَعَته مع شعرية النص بمفهومها العام صياغة أو دلالة وتأويلا.

## المبحث الثاني

## الأسلوبية الوظيفية والمكون النحوي ودائرة التماسك النصي

### أولا: نحوية الأسلوبية الوظيفية:

إن العلاقة بين الدراسة النحوية والأسلوبية تأخذ منحى التكامل والتطور أكثر من منحى الاستقلال والتخصص؛ خاصة عند النظر إلى مراحل تطور الدراسات النحوية خاصة، واللسانية عامة من جانب، وكذلك الاتجاه الأسلوبي باتجاهاته المختلفة. فكما سبق التنويه إلى أن الدراسة النحوية – في المراحل المبكرة لنشأة النحو العربي– تأسست على المنهج المعياري، الذي أساسه التوجيه نحو الصواب في الاستعمال، والحكم على ما يخالفه بالخطأ أو اللحن، وهو نهج من شغله الضبط وحفظ قواعد اللغة من الضعف والتحريف.

وانعكس ذلك على سياق التراكيب النحوية –عامة– عند النحاة في نظرهم إلى النصوص. فجوهر وظيفة النحو فيها تصحيح التراكيب والعبارات، متخذاً المعاني الجزئية مقياسه؛ لذلك يظهر أثره الواضح في حسن التأليف وسلاسة العبارة والحرص على دقة المعنى ووضوحه(٣٩). ولم تكن هذه الرؤية مختصة بالنحو العربي، بل هي قالب عام، لمنظومة النحو في أي لغة. فنحو أي لغة يرتكز على "مجموعة من الجمل العامة (نماذج وقواعد) وقوائم الاستعمالات الشاذة"(٤٠).

أما الأسلوب؛ فلا يرتكز على القيود والضوابط القاعدية، بل هو أميل إلى خرقها، ثم كشف ما وراء هذا الانتهاك. فالأسلوب هو كل ما ليس شائعـــاً ولا عاديـــاً ولا مطابقـــاً للمعيار المألوف...إنه انزياح بالنسبة للمعيار، أي: أنه –

قد يكون- خطأ، ولكنه خطأ مقصود[٤١].كذلك حسن الأسلوب- وهو قالب اختصاص البلاغة القديمة- اقترن عند العرب بحسن الطبع اللغوي والتمرس بالكلام البليغ، خاصة في الموقف الخطابي، لذلك قيل: "رأس الخطابة الطّبع، وعمودها الدّربة، وجناحها رواية الكلام، وحليها الإعراب، وبهاؤها تخيّر الألفاظ؛ والمحبّة مقرونة بقلّة الاستكراه"[٤٢]. وكذلك تنوع الأساليب وجمالها عند العرب لاينفصم عن قدرة المبدع "الذي إذا أخذ معنى واحدا؛ تصرف فيه بوجوه التصرفات، وأخرجه في ضروب الأساليب"[٤٣].

فالنحو المعياري لا يسير مع الأسلوب، فلكل غايته، لكن انتقال النحو المعياري إلى الوصفي والوظيفي، كشف مزيدا من خصوصية التراكيب، ووسَّع مهام النحو، خاصة بعد الطمأنة على استقرار القواعد وتدوينها؛ لتبنى علاقة جديدة بين النحو والأسلوب. ففي هذا النحو غير المعياري غدا الاهتمام بواقع استعمال النموذج، ووصفه وتحليله أكثر من الاعتناء بالحكم عليه وفق الضابط القاعدي؛ مما فتح الباب لعناصر أخرى كالسياق والتكلم، وهما من أبرز عناصر الأسلوبية اعتناء، وإن لم يكن إرهاص هذا التحول غائبـــاً عن الدرس النحوي العربي قديمـــاً. فإنعام النظر في رواية ابن أبي إسحاق (ت ١١٧هـــ) مع الفرزدق (ت١١٠هـــ) يُنْبئنا بإشارات خاصة، تكشف جانبـــاً أسلوبيـــاً في النحو العربي. فقد "روى أبو عمرو أن ابن أبي إسحاق سمع الفرزدق ينشد:[ الطويل]

**وعضُّ زَمَان يا ابن مروان لم يَدَعْ ... من المال إلا مُسْحَتًا أو مُجَلَّفُ**[٤٤].

فقال له ابن أبي إسحاق: على أي شيء ترفع "أو مجلفُ"؟ فقال: على ما يسوءك وينوءك؛ قال أبو عمرو: فقلت للفرزدق: أصبت! وهو جائز على المعنى، أي لم يبق سواه(٤٥).

فهذه الرواية تكشف اختلافــاً في نظرة ابن أبي إسحاق والفرزدق للصحة النحوية، فالفرزدق يراها رهينة المتكلم، في مقابل ابن أبي إسحاق يراها وفق ما وضعها النحاة. لكن ردَّ ابن إسحاق –نفسه– اعتراف بأن النحو لا يقتصر على معيار سلامة القاعدة، بل يخضع لفهم المعنى والسياق وقصد المتكلم، وهو ما تضمنه هذا الجزء من الحوار:"**أصبت! وهو جائز على المعنى**". وكذلك تخريج النحاة(٤٦) للبيت اعتمادًا على ما يتيحه المعنى. وهذه جوانب تكشف نحوًا وصفيــاً وأسلوبيــاً في مقابل النحو المعياري، الذي عرضه ابن أبي إسحاق في قوله: "**على أي شيء ترفع "أو مجلفُ"**؟"

هذه العلاقة الجديدة بين النحو والأسلوب، خاصة مع تطور الدراسات اللسانية شكلت إشارات نحوية، يمكن وصفها مدخلا لما يمكن وصفه بالنحو الأسلوبي (Stylistic Grammar) ؛ حتى أدرك الأسلوبيون–أنفسهم– أهمية النحو وتراكيبه في بناء الأسلوب؛ لأن الأساليب المختلفة إنما يحددها النحو(٤٧).

وحملت النصية (Textuality) وعاءً للنحو الأسلوبي والأسلوبية عامة، فأصبح ينظر إلى النص بأكمله على أنه الوحدة الأولية للوصف الأسلوبي، بعدِّه وحدة متكاملة، لا على أنه سلسلة من الجمل المتوالية(٤٨). وصار الدرس الأسلوبي يركز على الانزياحات التركيبة، وأساسها كل ما ورد من مخالفات

التركيب النحوي من زيادة أو استغناء أو استبدال موقعي للوحدات النحوية في الجمل والعبارات.

**ثانيــاً: الانزياح الأسلوبي والانزياح (العدول) النحوي:**

**١. المحدد الأسلوبي**

تقوم الأسلوبية –والوظيفية خاصة– على ثلاث محددات عامة، هي الاختيار، والتركيب، والانزياح. ويمثَّل الاختيار الفعل الأسلوبي الأول، حيث ينتقي المبدع من مفردات اللغة ما يعبر عن نفسه وحالتها تجاه الحدث، "فالأسلوب ينطوي على تفضيل الإنسان بعض طاقات اللغة على بعضها الآخر في لحظة محددة من لحظات الاستعمال"(٤٩).

أما عملية التركيب؛ فعملية ربط خاص، تقتضيها قوانين النحو والعرف اللغوي المقبول؛ لتحقق جدواها، فـ"الألفاظ لا تُفيد حتى تُؤلَّف ضربــاً خاصــاً من التأليف، ويُعْمَد بها إلى وجه دونِ وجهٍ من التركيب والترتيب"(٥٠). فليس الأسلوب عملية إخلال سياقي أو قاعدي، بل مغايرة؛ من أجل تأليف مبتكر، ضرب خاصّ من التأليف، يحقق ما يطلق عليه" المفاجأة"، أو "صدمة" السياق غير المتوقع. ومن ثم يأتي المحدد الرئيس وهو الانزياح، الذي يمثَّل القدرة على خرق المألوف وكَسْر المعتاد. فجوهر الأسلوب نقيض ما يطرد في الخطاب "العادي"، أو ما اصطلح عليه بالاستعمال النفعي للظاهرة اللغوية(٥١)، الذي عند وجوده يهدم البعد الجمالي والتأثيري لخصوصية التواصل اللغوي، ومن ثمَّ يمكن وصف الأسلوبية– إجمالا– بظاهرة الانزياحات اللسانية. فإذا حدثت مفاجأة السياق الأسلوبي كان للحذف دليله،

والتقديم والتأخير له جدواه، وحدوث الوصل أو الفصل أو الاعتراض له ما يبرره، وكل هذه الإجراءات تغيير يوصف بأنه حالة لغوية وجمالية خاصة في اللغة، لجأ فيها المبدع إلى ما ندر استعمالا وتفرد معنى وصياغة وتركيبـــاً.

**٢. المحدِّد النحوي والعدول**

لم يغيب مفهوم الانزياح عن النحو العربي منذ وضع أصوله، فهو ركن من أركان وصف حالة السياق نحويـــاًّ، ولكنه شاع بدلالات أخرى، نحو"العدول"، و"المخالفة"، و"كسر القاعدة"؛ وصولاً إلى أعلى مستويات الانزياح، وهو "الشذوذ".ومثَّلت أدلة النحو(٥٢)– التي تفرَّعت منها فروعه وفصوله– المحددات النحوية المباشرة للنظر للاستعمال اللغوي، ووصفت بأنها الأصول التي عن طريقها يحكم على مستوى قبول الاستعمال وتفاوته أو عدمه.

وصار مصطح "الاطراد" والقياس وصفـــاً لأعلى مستويات القبول، بل القصد المرجو من مستعمل اللغة أن يصل إليها أو يقليدها، حتى قيل في المطرد في القياس والاستعمال "هو الغاية المطلوبة والمثابة المنوبة"(٥٣). وما دون ذلك يمثَّل تفاوتا في قبول الاستعمال والانزياح فيه، الذي فقهه اللغوي العربي ووصف درجاته المختلفة على الترتيب:

١) مطرد في القياس شاذ في الاستعمال
٢) المطرد في الاستعمال الشاذ في القياس
٣) الشاذ في القياس والاستعمال جميعًا(٥٤).

ونظرًا لأن النظام النحوي في العربية نظام معياري، ضابط للمثال حتى في حالة (العدول) الانزياح، كان علي اللغويين العرب البحث عن مبرر لكل

انزياح، حتى أنهم كان يصفون هذا الانزياح في بعض الحالات بوصف أسلوبي، يشير إلى ما يوجهه مستعمل اللغة من قسوة، بمحاولته الفكاك من القاعدة المألوفة، فلم يجد النحاة تبريرًا لانتهاك اطِّراد القاعدة سوى الضرورة، وهي "ما لا مندوحة عنه"(٥٥)، بعدما راحوا يبحثون عن كل وجهٍ يُدخِل هذا الانزياح في دائرة القبول؛ حملا على ما عندهم من سياقات مستعمله، ولو بالمعنى، وصار ذلك منهجـــاً وقاعدة حيث "إن العرب لا يضطرون لشيء إلا وهم يحاولون به وجهـــاً"(٥٦).

فالمحددات النحوية ضوابط، والانزياح عنها–أيضـــاً– بقواعد عامة، توجِّه المقبول (المطرد)، وتبحث عن حلٍّ للمنزاح منها عن المألوف، بالقياس تارة، أو الحمل على لفظ أو معنى، أو الضرورة تارة أخرى، بل وعزل الشاهد ليكون مفردا "شاذا" لا يقاس عليه، إذا نفذت التبريرات والتوجيهات. كلُّ ذلك ضمان لاستقرار النظام القاعدي في حالتي الاطراد والانزياح في الآن نفسه.

**٣. الانزياح والأسلوب العدولي النحوي**

على الرغم من هذا الإطار القاعدي المثالي، الذي قدمه النحاة وواضعو أصول النحو العربي في حالتي الاستعمال، في أعلى مراتبها في(الاطراد) أو أدناها في(الشذوذ)؛ فإن فاعلية الانزياح الأسلوبي في النحو وجدت لها أبوابـــاً عدة، خاصة ما ارتبط بالعلاقات الملفوظة والملحوظة، حيث تعددت ظواهر الأسلوب العدولي، وكثير منها ينزع صوب النظام النحوية وعلاقات السياق وأبرزها ما جاء في عدة مظاهر:

١) **البنية:** يعدل عنها بواسطة: النقل، والنيابة، وتسخير اللفظ لتوليد المعنى، والتضمين.
٢) **الإعراب:** ويعدل عنه بواسطة إعراب الجوار.
٣) **الربط:** ويعدل عنه بواسطة: الالتفات، والتغليب، وحذف الرابط.
٤) **الرتبة:** ويعدل عنها بواسطة التقديم والتأخير.
٥) **التضام:** يعدل عنه بواسطة: الحذف، والزيادة، والفصل، والاعتراض، وتجاهل، والاختصاص .
٦) **المعنى الأصلي** : ويعدل عنها بواسط المجاز[٥٧].

هذه الظواهر أصبح جلُّها ركيزة التحليل الأسلوبي في مستوياته المختلفة: أصواتـــاً، ومعجمـــاً، ودلالة، وتركيبـــاً، وتصويرًا، سواء ما كان بمسماه أو اتخذ مسميات أخرى، أو ما ارتبط بها. ولعل ذلك مرده إلى الوعي بجماليات الانزياح الأسلوبي، الذي جمع بين العدول اللفظي بالدلالي وفق نظرة جديدة ترفض انفصامها، وتعد العلاقة بينهما علاقة ارتباط، وهو ما وعيه الجرجاني في جماليات البلاغة الرصينة واستنكاه أبعاد الخطاب ومقاصده التي استمدها من جماليات الخطاب القرآني وإدراك عظمته. فكل إجراء في الكلام له مقصده وتعلقه، فـــ "كيف يتصور وقوع قصد منك إلى معنى كلمة من دون أن تريد تعليقها بمعنى كلمة أخرى"[٥٨].

وأصبحت ظواهر المستوى التركيبي النحوي أبرز مستويات التحليل الأسلوبي، خاصة ما اتصل بكل من: الحذف، والوصل والفصل، والتقديم

والتأخير. فلم يكن غريبـــاً أن يكون الانزياح الأسلوبي مرتبطـــــاً بالعدول النحوي قديمـــاً، وحالة من حالات التعبير عن النصية واكتمالها حديثـــاً.

فالربط بين الدرس الأسلوبي والدرس النحوي وظواهر كل منهما أصبح – الآن –واقعـــاً يغاير النظرة القديمة. ومن ثمَّ فتطبيق الأفكار اللسانية ونتائجها ومناهجها على بحث الأسلوب بحاجة إلى تدبر مغاير، ونظرة جديدة إلى الأفكار المتداولة فيه، كتلك الأفكار التي تصور العلاقة القائمة بين النحو والأسلوب؛ لأن الاتجاهات النحوية الحديثة تبدو مختلفة عما يعرف اليوم بالنحو التقليدي(٥٩)؛ مما قد يكون مدخلا جديرًا بما يمكن وصف– كما اقترحنا– بـــ"النحو الأسلوبي".

**ثالثا: أسلوبية التماسك النصي وعناصر الاتصال**

ترتبط دلالة التماسك بالترابط والتلاحم، ومن ثمَّ كان إطلاقه على سياق الكلام أو الحديث أو الشعر وصفـــاً مقصودًا نحو متانة التلاحم وقوة ترابط الأجزاء. كذلك إن الغاية المبتغاة من التماسك النصي– بل والنصية عامة– تبدو حاضرة بشكل بارز منذ تاريخ الدراسات العربية القديمة، في معرض الحديث عن علوم البلاغة القرآنية خاصة، وأشد خصوصية عند ذكر "علم المناسبة في القرآن" حيث وصف بأنه:"علم تعرف به وجوه ارتباط أجزاء القرآن بعضها ببعض، وقولنا: (أجزاء القرآن) شامل للآية مع الآية، والحكم مع الحكم، والسورة مع السورة، والقصة مع القصة، وكل جزء من القرآن مع ما قارنه"(٦٠).

كذلك مفهوم المناسبة في اللغة يقترب من فحوى كلية مفهوم التماسك. خاصة عند ذكر نص كامل التماسك كالقرآن الكريم، فالمناسبة فيه حاضرة في كل وحداته، "ومرجعها في الآيات ونحوها إلى معنى رابط بينهما، عام أو خاص، عقلي أو حسي أو خيالي، أو غير ذلك من أنواع علاقات التلازم الذهنيّ، كالسبب والمسبب، والعلة والمعلول، والنظيرين والضدين ونحوه. وفائدته جعل أجزاء الكلام بعضها آخذاً بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط، ويصير التأليف حالته حال البناء المحكم التلائم الأجزاء"(٦١).

كذلك الحديث عن جودة الشعر تكشف الوعي العربي القديم بقضية التماسك بوصفه خاصية نصية مهمة للشعر، كما نبّــَه الجاحظ بقوله: "وأجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء، سهل المخارج، فتعلم بذلك أنه قد أفرغ واحدا، وسبك سبكا واحدا، فهو يجري على اللسان كما يجري الدهان.. وكذلك حروف الكلام وأجزاء البيت من الشعر، تراها متفقة ملســاً، ولينة المعاطف سهلة، وتراها مختلفة متباينة، ومتنافرة مستكرهة، تشق على اللسان وتكده، والأخرى تراها سهلة لينة، ورطبة مواتية، سلسة النظام، خفيفة على اللسان، حتى كأن البيت بأسره كلمة واحدة، وحتى كأن الكلمة بأسرها حرف واحد"(٦٢).

وأبدع الجرجاني في عرض التعلق بين الجانب الشكلي والمعنى، بل وما وراء المعنى، وكونه أمرًا منطقيــاً في إدراك فهم الكلام أو النصوص في معرض حديثه عن قضية النظم، في سياق قوله: "لا نظْمَ في الكَلِم ولا ترتيبَ، حتى يُعلَّقَ بعضُها ببعضٍ، وَيْبني بعضُها على بَعض، وتُجعلَ هذه بسبب من تلك. هذا ما لا يَجهلُه عاقلٌ ولا يخْفَى على أحدٍ منَ الناس"(٦٣). وهذا الارتباط

– التعلق عند الجرجاني– أشار إليه اللسانيون الغربيون بعده، نحو فان ديك، الذي يرى أن"التماسك عبارة عن خاصية دلالية للخطاب، تعتمد على تأويل جملة مفردة متعلقة بتأويل جملة أخرى(٦٤).

إن التحول من الجملة إلى ما بعدها على أثر علاقاتها بغيرها من الجمل والأساليب ثم كلية الكلام أو الخطاب كان مرحلة طبيعة في نشاط الدراسات اللسانية، بل حتمية علمية بسبب التراكم المعرفي وتداخل مختلف الأنساق والعلوم المعرفية وإدراك وظيفتها في الحدث اللساني، نحو: علم الاجتماع، وعلم النفس، وعلوم الاتصال؛ تأكيدًا أن اللغة ليست مجرد نظام من العلامات للتعبيرعن الأفكار فحسب، كما قدمها دي سوسير(٦٥)، بل هي ظاهرة اجتماعية لغوية اتصالية تفاعلية.

فعلى أثر هذا التوسع نشط الدرس اللساني بصورة سريعة سواء في الوقوف على أفضل خصائص السياق الكلامي والخطاب، أو كيف يحقق أفضل طرق الاتصال والفاعلية بين مستعمل اللغة والكلام منتجِـًا ومخاطَبـًا، وطبيعة الكلام نفسه؛ لينقل الدرس اللغوي إلى مستوى أعلى وهو اللسانيات النصية، التي تمثَّل "فرعا من فروع اللسانيات، الذي يُعنى بدراسة مميزات النص من حيثُ حدُّه وتماسكُه ومحتواه الإبلاغي (التواصلي)(٦٦). فقد كانت هناك نزعة نحو ضرورة التغيير وفق منهجية لا تغفل الجملة، ولكنها في مقابل ذلك تَعُـدُّها أكبر وحدة قابلة للتحليل اللساني، بل تنظر إليها من زاوية علاقتها ببقية الجمل الأخرى المكونة للنص، إضافة إلى علاقتها –كذلك– بالسياق الذي أنتجت فيه وبمنتجها ومستقبلها"(٦٧). فقد قدم هاليدي ورقية حسن (M.A.K,

(Halliday & R. Hassan) (١٩٧٦م) كتابهما "الاتساق في اللغة الإنجليزية" Cohesion in English، توجهــاً نحو النص ووظيفة سياق المقام، بوصفه وحدة دلالية كبرى، وعناصر التماسك التي تسهم في بنائه.

وانطلق دي بوجراند ودريسلر (Beaugrande & Dressler) انطلاقــاً أكثر فاعلية تجاه عالم النص (Text)، ووصفه بمعايير تحقق نصيته، التي بها يفهم النص وحدة لسانية، ويتشكل كيانــاً فعليــاً وفعالاً، في صورة "حدث تواصلي" (Communicative act) تتوفر فيه سبعة معايير[٦٨] تأسيسية، إضافة إلى ثلاثة معايير تنظيمية، جاءت على النحو الآتي[٦٩]:

| Regulatory Criteria | المعايير التنظيمية | Constituent Criteria | المعايير التأسيسية |
|---|---|---|---|
| Efficiency | الجودة | Cohesion | السبك |
| Effectivity | الفعالية | Coherence | الحبك |
| Appropriateness | الملاءمة | Intentionaliy | القصد ( القصدية) |
| | | Acceptability | القبول ( المقبولية) |
| | | Informativity | الإعلام (الإخبارية) |
| | | Situationality | المقامية (الموقفية) |
| | | Intertextuality | التناص (النصوصية) |

وقد استهل بوجراند ودرسلر معايير النصية بمعياري "السبك والحبك"؛ فهما عمودا النص بما يتصل بالنص ذاته، سواء من جهته اللفظية أو المستوى الدلالي العلائقي. أما المعايير الأخرى؛ فهي داعمة لزيادة التحقق من الحالة الاتصالية للنص. فمعيارا القصدية والمقبولية يختصان بمستعمل النص مرسلاً ومتلقيــاً، حيث يُكشَف هدف منتج النص وبيان موقف المخاطب منه قبولاً أو

سلبـــاً. أما ما يتصل بسياق النص المادى والثقافي- سواء تلك المعلومات الواردة في النص أو المتوقع الإفصاح عنها، وكذلك مناسبة النص وعلاقته بالنصوص الأخرى- فتنوط بها معايير الإخبارية، والمقامية، والتناص على الترتيب. إضافة إلى عدة معايير تنظيمية، تركز على مستوى جودة النص وفاعليته مناسبته للحدث المقترن به. وعند مناظرة نموذج المعايير النصية ووظيفتها بنموذج عناصر نظرية الأسلوبية الوظيفية، التي عرضها جاكبسون في نموذج التواصل اللغوي ووظائفه اللغوية (شكل ١) بدا مدى التشابه بين النموذجين، خاصة في الغاية المرجو تحقيقها من العنصر أو في وظيفته.

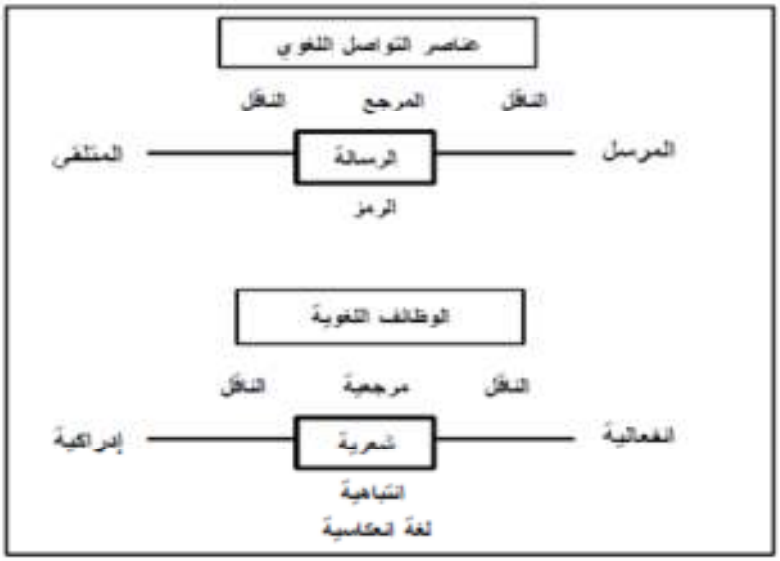


شكل(١) عناصر التواصل اللغوي والوظائف اللغوية وفق نموذج جاكبسون[٧٠]

فتبدأ نظرية التواصل اللغوي عند جاكبسون بالمرسل (Addresser) وتنتهي بمستقبلها (المتلقي) (Addressee) على اختلاف صوره. وقد حمل كل عنصر من عناصر العملية الاتصالية وظيفة محددة؛ لتحقيق هذا التواصل اللغوي.

فالمرسل محمل بالوظيفة الانفعالية أو التعبيرية، والمتلقي منوط به الوظيفة الإدراكية أو الإفهامية، والسياق وظيفته المرجعية الإحالية، والقناة تحدد الوظيفة الانتباهية، التي تمثَّل مؤشرًا تواصليـــاً لها حدود وصفية وكيفية. أما الشفرة؛ فتتحمل وظيفة ما وراء اللغة (Meta-linguistics) ، بما لها من القدرة التفسيرية على الوصف والشرح للغة الرسالة.

أما الوظيفة الإنشائية (الشعرية) (Poetics) ؛ فتخص الرسالة؛ وهي أهم الوظائف عند جاكبسون. فهي مركز التواصل اللغوي. لذلك يمكن وصفها بأنها "علم قائم بذاته ضمن أفانين اللسانيات[٧١]. ويمكن التعبير عنها –كوظيفة– بأنها بحث في الوظيفة الشعرية للغة، وفي الفن اللفظي، فيما يتعلق بوظيفة اللغة الشعرية، فضلا عن الوظيفة الفنية للأنظمة السيميائية عمومـــاً[٧٢].

هذا التقارب بين معايير النصية وغايتها من جانب، وعناصر التواصل اللغوي ووظائفها من جانب مناظر وجَّه عددًا من اللسانيين المعنيين بلسانيات النص إلى السعي لوضع حدود لهذه المعايير النصية والاتجاه اللساني برمته، حتى لا يحدث هذا التداخل، الذي قد يضعف الجانب اللساني ووظائفه؛ بسبب تغلل الجانب النقدي الأسلوبي، حيث هناك من يرى أنه "يجب على عالم اللغة النصي أن يبقى بحثه محصورًا في أبنية النصوص وصياغتها مع إحاطته بالعلاقات الاتصالية، والاجتماعية، والنفسية العامة"[٧٣].

وبناءً على ما سبق يمكن الوقوف على ملاحظة مهمة، هي أن الأسلوبية– الوظيفية خاصة– أفادت من المكون النحوي في ظاهرة العدول، خاصة في المستوى التركيبي، لينفتح أفقها بعد ذلك إلى مستويات واسعة من الانزياح

بحكم طبيعة الأسلوب وعناصر تكوينه، بدءا من المبدع والعمل أو النص؛ وانطلاقــاً إلى المخاطب وعملية التواصل.

كما أن لسانيات النص استوعبت مفهوم العملية التواصلية وعناصرها ووظائف كل عنصر فيها؛ مع تركيزها على خصوصية الجانب اللساني التواصلي، الذي أحاطته بإطار وصفي محدد (المعايير والقواعد)، لتميز حضورها عن الاتجاه الأسلوبي عامة، والوظيفي خاصة.

## المبحث الثالث

## السبك والحبك في خطبة حجة الوداع

## بين النحو الأسلوبي والأسلوبية الوظيفية في الخطاب النبوي

**أولا: السبك والحبك معجمـــاً وتأصيلاً**

يعد كل من السبك والحبك من أبرز عناصر تماسك العمل، وقرينة على تجويده قديمـــاً، و إن مال "السبك" صوب الجانب المادي والشكلي؛ في مقابل نحا "الحبك" نحو الأثر وحسن جمال المعاني. فقيل في **السبك:** "سبَكَ يسبُك ويَسبِك، سَبْكًا، فهو سابِك، والمفعول مَسْبوك وسَبِيك، "وسبكت الْفضة وَغَيرهَا أسبكها سبكا إِذا أذبتها...والسبيكة: الْقطعَة من الْفضة وَغَيرهَا إِذا استطالت"[٧٤]. وقيل في هذا المعنى:"وبراعة المطلع: أَن يكون الْبَيْت صَحِيح السبك، وَاضح الْمَعْنى، غير مُتَعَلق بِمَا بعده، سالما من الحشو وتعقيد الْكَلَام، سهل اللَّفْظ، متناسب الْقسمَيْنِ، بِحَيْثُ لَا يكون شطره الأول أَجْنَبِيـــاً من شطره الثَّانِي، مناسبًا لمقْتَضى الْمقَام" [٧٥]. أما **الحبْك؛** فهو"مصدر حبكه يحبكه، ويحبكه حبكـــاً، وَهُوَ أثر حسن الصَّنْعَة فِي الشَّيْء واستوائها "[٧٦].وقيل هو"الشد والإحكام...وحبك الثواب أجاد نسجه.[٧٧]

وظل المفهومان يشيعان في كتب البلاغة والنقد دلالة على علاقات التضام وجودة النظم، والارتباط، خاصة في كتب معانى القرآن وإعرابه وإعجازه، كما برزت هذه العلاقة واضحة عند البلاغيين، خاصة الباقلاني (ت ٤٠٣هـــ)، والجرجاني(ت٤٧١هـــ)، والسكاكي (ت ٦٢٦هـــ) والقرطاجني (ت ٦٨٤هـــ). و حديثـــاً تطور كلا المصطلحين، وأصبح ذكرهما الأبرز مقترنـــاً بلسانيات النص، خاصة أنهما أبرز معايير النصية، تطبيقـــاً فعليـــاً في الدرس النصي.

**ثانيا: السبك والأسلوبية الوظيفية في خطبة حجة الوداع**

**١. الخطبة النصٌّ الخطابي الاتصالي**

الخطابة من أقدم الفنون الأدبية عامة –والنثرية خاصة– التي عرفت قديمـــاً. واشتهر المصطلح بـــ"فن الخطابة" عند اليونان، كما برز في ذلك مصنف آرسطوطاليس في كتابه عن هذا الفن "فن الخطابة". وفيه ورد مفهوم الخطابة على أنه "القدرة على النظر في كل ما يوصل إلى الإقناع في أية مسألة من المسائل"(٧٨). وفي المعجم العربي الخطبة تعود إلى الفعل (خطب)، تقول: ما خَطْبُكَ. وخَطبت على المنبر خُطْبَةً بالضم. وخاطبه بالكلام مُخاطَبَةً وخِطابـــاً(٧٩).

فالخطبة نصٌّ خطابي يقترن بالشفهية وسياق المقام؛ لذلك ظهرت أداء فنِّيًّا لسانيـــاً، يلقى على جمـــهور السامعين، يتم فيه "مخاطبة الجماهير بطريقة إلقائية تشتمل على الإقناع والاستمالة"(٨٠)؛ لذلك قيل هي:" فن مشافهة الجمهور وإقناعه واستمالته"(٨١).

فامتازت الخطابة بخصوصية الأسلوب، والنحو، والإقناع، وتنوع الأداء الصوتي، وحسن الاستشهاد والتمثيل (التناص). إنها نص كلامي بلغة من الفصاحة والبيان وقوة الحجة والبرهان؛ لجذب السامع و إقناعه بأمر ما. ومن أبرز الخطب العربية خطبة النبي الكريم محمد (ﷺ) في حجة الوداع، الذي"إِذَا قعدَ عَلا الناسَ، فإذا تكلَّمَ أَنصتَ لَهُ الناسُ، وَإِذَا خطَبَ بَكى الناسُ" (٨٢).

**٢. نص الخطبة:**

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ(٨٣): ثُمّ مَضَى رَسُولُ اللهِ-ﷺ-عَلَى حَجّهِ فَأَرَى النّاسَ مَنَاسِكَهُمْ، وَأَعْلَمَهُمْ سُنَنَ حَجّهِمْ، وَخَطَبَ النّاسَ خُطْبَتَهُ، الّتِي بَيّنَ فِيهَا مَا بَيّنَ. فَحَمِدَ اللهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمّ قَالَ:

"**أَيّهَا النّاسُ اسْمَعُوا قَوْلِي،** فَإِنّي لَا أَدْرِي لَعَلّي لَا أَلْقَاكُمْ بَعْدَ عَامِي هَذَا بِهَذَا الْمَوْقِفِ أَبَدًا، أَيّهَا النّاسُ إنّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ إلَى أَنْ تَلْقَوْا رَبّكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، وَكَحُرْمَةِ شَهْرِكُمْ هَذَا، وَإِنّكُمْ سَتَلْقَوْنَ رَبّكُمْ فَيَسْأَلُكُمْ عَنْ أَعْمَالِكُمْ وَقَدْ بَلّغْت، فَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ أَمَانَةٌ فَلْيُؤَدّهَا إلَى مَنْ ائْتَمَنَهُ عَلَيْهَا، وَإِنّ كُلّ رِبًا مَوْضُوعٌ وَلَكِنْ لَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ. قَضَى اللهُ أَنّهُ لَا رِبَا، وَإِنّ رِبَا عَبّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطّلِبِ مَوْضُوعٌ كُلّهُ، وَأَنّ كُلّ دَمٍ كَانَ فِي الْجَاهِلِيّةِ مَوْضُوعٌ وَإِنّ أَوّلَ دِمَائِكُمْ أَضَعُ دَمُ ابْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطّلِبِ، وَكَانَ مُسْتَرْضَعًا فِي بَنِي لَيْثٍ فَقَتَلَتْهُ هُذَيْلٌ فَهُوَ أَوّلُ مَا أَبْدَأُ بِهِ مِنْ دِمَاءِ الْجَاهِلِيّةِ.

**أَمّا بَعْدُ أَيّهَا النّاسُ** فَإِنّ الشّيْطَانَ قَدْ يَئِسَ مِنْ أَنْ يُعْبَدَ بِأَرْضِكُمْ هَذِهِ أَبَدًا، وَلَكِنّهُ إنْ يُطَعْ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ فَقَدْ رَضِيَ بِهِ بِمَا تُحَقّرُونَ مِنْ أَعْمَالِكُمْ فَاحْذَرُوهُ عَلَى دِينِكُمْ أَيّهَا النّاسُ إنّ النّسِيءَ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلّ بِهِ الّذِينَ كَفَرُوا، يُحِلّونَهُ عَامًا وَيُحَرّمُونَهُ عَامًا، لِيُوَاطِئُوا عِدّةَ مَا حَرّمَ اللهُ فَيُحِلّوا مَا حَرّمَ اللهُ وَيُحَرّمُوا مَا أَحَلّ اللهُ. إنّ الزّمَانَ قَدْ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللهُ السّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَإِنّ عِدّةَ الشّهُورِ عِنْدَ اللهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ثَلَاثَةٌ مُتَوَالِيَةٌ وَرَجَبُ مُضَرَ، الّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ.

**أَمّا بَعْدُ أَيّهَا النّاس،** فَإِنّ لَكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ حَقّا، ولَهُنّ عَلَيْكُمْ حَقّا، لَكُمْ عَلَيْهِنّ أَنْ لَا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ وَعَلَيْهِنّ أَنْ لَا يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيّنَةٍ فَإِنْ فَعَلْنَ فَإِنّ اللهَ قَدْ أَذِنَ لَكُمْ أَنْ تَهْجُرُوهُنّ فِي الْمَضَاجِعِ وَتَضْرِبُوهُنّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرّحٍ فَإِنْ انْتَهَيْنَ فَلَهُنّ رِزْقُهُنّ وَكُسْوَتُهُنّ بِالْمَعْرُوفِ وَاسْتَوْصُوا بِالنّسَاءِ خَيْرًا، فَإِنّهُنّ عِنْدَكُمْ عَوَانٌ لَا يَمْلِكْنَ لِأَنْفُسِهِنّ شَيْئًا، وَإِنّكُمْ إنّمَا أَخَذْتُمُوهُنّ بِأَمَانَةِ اللهِ وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنّ بِكَلِمَاتِ اللهِ فَاعْقِلُوا أَيّهَا النّاسُ قَوْلِي، فَإِنّي قَدْ بَلّغْت، وَقَدْ تَرَكْت فِيكُمْ مَا إنْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ فَلَنْ تَضِلّوا أَبَدًا، أَمْرًا بَيّنًا، كِتَابَ اللهِ وَسُنّةَ نَبِيّهِ.

**أَيّهَا النّاسُ اسْمَعُوا قَوْلِي وَاعْقِلُوهُ:** تَعَلّمُنّ أَنّ كُلّ مُسْلِمٍ أَخٌ لِلْمُسْلِمِ وَأَنّ الْمُسْلِمِينَ إخْوَةٌ فَلَا يَحِلّ لِامْرِئٍ مِنْ أَخِيهِ إلّا مَا أَعْطَاهُ عَنْ طِيبِ نَفْسٍ مِنْهُ فَلَا تَظْلِمُنّ أَنْفُسَكُمْ اللهُمّ هَلْ بَلّغْت؟" فَذُكِرَ لِي أَنّ النّاسَ قَالُوا: اللهُمّ نَعَمْ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ "اللهُمّ اشْهَدْ"(٨٤).

### ٣. صور السبك وتوظيفها في أسلوب خطبة حجة الوداع

جاءت بنية التماسك وعناصره في أسلوب خطبة رسول الله- ﷺ- في حجة الوداع معتمدة على تمازج تام بين البنية الشكلية والمحتوى المضموني أو الدلالي؛ لتوجيه المخاطب صوب مركز البنية النصية الكلية.

ويمثَّل السبك مجموعة العناصر النحوية والمعجمية المشكلة للنص. فوظيفته مركزة في الجزء التركيبي الظاهري للنص، أو الكلمات الفعلية، التى نسمعها أو نبصرها في ترابط متبادل ضمن اتصال لغوى معين.(٨٥) مع تأكيد أن ظاهر النص (surface) ليس حاسمـــاً في حد ذاته؛ بل يجب أن يكون هناك تفاعل بين السبك ومعايير النصية الأخرى لتكوين اتصال فعال(٨٦).

ويظهر"السبك" في صورة الانسجام المتحقق بين بنيات النص الصغرى والكبرى على اختلاف مستوياتها؛ لذلك يعد السبك الطريقة التى يتم بها ربط التتابعات في بنية النص الظاهرة، أو بعبارة أخري يقصد به التشكيل النحوى للجمل والعبارات، وما يتعلق بها من حذف وإضافة وغير ذلك، ويتعلق كل هذا بالنص ذاته.(٨٧)

وينقسم السبك نمطين:

- السبك المعجمي (Lexical Cohesion)

- السبك النحوى (Grammatical Cohesion).

**أ) السبك المعجمي**

مصطلح السبك المعجمى يشير إلى مستوى تردد حضور المفردات فى النص. فهو ينحو في تطبيق صوره إلى منحى الظاهرة الأسلوبية، سواء في التكرار (Reiteration) أوالمصاحبة اللغوية (التضام) (Collocation).

**١) التكرار**

فالتكرار يتم بين لفظين أو أكثر، يكون المرجع فيهما واحدًا؛ لإحداث تماسك عن طريق العناصر اللغوية. وقد قصده العربي لأغراض شتى، فهو عنده: "أن يكرر المتكلم اللفظة الواحدة باللفظ والمعنى، والمراد بذلك تأكيد الوصف أو المدح أو الذم أو التهويل، أو الوعيد أو الإنكار أو التوبيخ أو الاستبعاد أو الغرض من الأغراض."(٨٨)؛ ومن ثمَّ فاتـــِّباع تكرار بعد الألفاظ أو التعبيرات في أسلوب الكلام يعنى زيادة كثافة التنبيه في رموز اللغة وبُعدها التواصلي تجاه المتلقي؛ حيث إن التكرار يتضمن طاقة تعبيرية فذة"(٨٩).

وعلى الرغم من شيوع الجانب الجمالي الأسلوبي لظاهرة التكرار؛ فإنه ظاهرة نحوية تركيبية، ارتبطت في النحو العربي بباب التوابع، حيث يعد من أبرز صور التوكيد في اللغة العربية. فقد شاع الحديث في كتاب سيبويه عن التكرار قصد التوكيد في الكلم العربي نحو قوله:" فإنما هذا كقولك قد ثبت زيد أميرا قد ثبت، فأعدتَ قد ثبت توكيدًا، وقد عمل الأول في زيد وفي الأمير. ومثله في التوكيد والتثنية: لقيتُ عمرا عمرا."(٩٠)

ويمكن تقسيم أنواع التكرار الواردة في الخطبة قسمين:

- تكرار إفرادى.
- تكرار (تركيبى أسلوبي).

أما **التكرار الإفرادى**؛ فيعتمد على إعادة اللفظ المفرد أو الوحدة اللغوية إعادة فى الشكل أو المعنى بطريقة صريحة أو ضمنية، واتخذ عدة صور، أبرزها جاء على النحو الآتي:

- إعادة الصيغة المعجمية ذاتها - الترادف - الاسم الشامل
- الكلمة العامة - التكرار بالضمير(٩١)

أما التكرار بإعادة الصيغة المعجمية ذاتها، فهو أكثرها شيوعـــاً وأبسطها، إذ يمثَّل إعادة صوتية لفظية للوحدة اللغوية المفردة. فقد تضمن أسلوب خطبة الوداع إعادة صيغ معجمية بكثافة أسلوبية مختلفة؛ تبعـــاً لأهمية عنصر الاتصال أو الرسالة؛ مما مثَّل مؤشرات ذات مستويات مختلفة لأكثر مناطق التواصل اللغوي نشاطا واستمرارا من قبل المرسل (النبي) إلى المتلقي (الحاضرون حينئذٍ)، وكل مسلم على جهة الخصوص، وكل مخاطب عامة.

| المستوى الأول | المستوى الثاني | المستوى الثالث |
|---|---|---|
| - **الله** (١٥ مرة)<br>- **النّاس** (١٠ مرات) | - **ربــًا** (ثلاث مرات)<br>- **بَلّغْت** (ثلاث مرات)<br>- **أَبَدًا** (ثلاث مرات)<br>- **حرام** (مرة)، **يحرِّم** (مرتان)، **حرمة** (مرتان)<br>- **نفس** (مرة)، **أَنْفُس** (مرتان)<br>- **المسلمين** (مرة) **مُسْلِم** (مرتان)<br>- **تُظْلَمُ** (مرة)، **تَظْلِم**(مرتان)<br>- **دم** (مرة) **دماء** (مرتان) | - **موضوع** (مرتان)<br>- **أَعْمَالِكُمْ** (مرتان)<br>- **رَبِّكُمْ** (مرتان)<br>- **أَمْوَالِكُمْ** (مرتان)<br>- **نِسَاء** (مرتان)<br>- **حقّ**(مرتان) |

وقد يجيء التكرار في صورة الجمع بين كلمتين تحملان معنى متماثلا (ترادف)، أو متقاربــًا مع الاشتراك فى الصياغة، سواء فى بعض الأصوات أو البناء الصرفى. وهناك تكرار كلمتين، تحملان دلالة متماثلة أو متقاربة مع اختلاف فى الصياغة (شبه ترادف). وتظهر قيمة التكرار عامة- والترادف خاصة- في إعادة توجيه الاهتمام صوب الألفاظ مع تغيرها الشكلي، تأكيدا لاتساع حضورها فى النص؛ فهي عملية توجيه اتصالي صوب بنيات معينة.

وقد تردت صورة خاصة للتكرار **بالاسم الشامل**(٩٢)، وهو تكرار لاسم يحوي مجموعة أشياء دون تحديد. ويمثَّل علاقة انتماء بين عنصر أو أكثر ومحتوى شامل (الاسم الشامل).

وتتشابه هذه العلاقة مع تكرار **الاسم العام**، وإن كانت تتميز علاقة الاسم العام بالجانب التفسيري. فذكر الاسم العام- غالبــًا- ما يكون غير محدد المعنى، الذي يكشفه السياق، مثل لفظ (كافة، والجميع، وعامة)، التي تظل بورة لتفاصيل سابقة أو غامضة قبل كشفها.

وقد ظهر في خطبة رسول الله (ﷺ) في حجة الوداع أثر ظاهرة التكرار بأنماطه المختلفة، حيث جاءت مرتكزًا، ينبه السامع إلى أهمية هذه الألفاظ، التي أعاد ذكرها النبي -ﷺ- على سامعيه مرة بعد مرة، وبعدة طرق مختلفة، تنبيهـــاً لأهميتها وخطورتها. ولقد كادت هذه الأنماط التكرارية أن تكون الصورة الأبرز للسبك في الخطبة، وأبرزها ما جاء على النحو الآتي:

| ترادف | شبه ترادف | الاسم الشامل | الكلمة العامة |
|---|---|---|---|
| - **حمد /أثنى**<br>- **المضجع /فرش** | - **مناسِكَ / سنن**<br>- **النسيء / زيادة**<br>- **رزقهن/ كسوتهن** | - **(أربعة)** حرم ثلاثة متوالية ورجب مضر<br>- **(أمرا )** بينا، كتاب الله وسنة نبيه. | - فإن لكم على نسائكم **(حقا)**<br>- **(أحدا)** تكرهونه<br>- لا يملكن لأنفسهن **(شيئا)** |

ومن جانب آخر فإن التكرار التركيبى الأسلوبي، يتم فيه إعادة تركيب أو جملة من جمل النص أو أكثر، سواء من الجانب الشكلي أو الضمني. فهو توجيه اتصالي أوسع مما قدمه التكرار الإفرادي؛ لزيادة المساحة اللغوية موضع التنبيه الاتصالي. وينقسم هذا النمط من التكرار قسمين:

- **تكرار تركيبى (أسلوبي) كلي**
- **تكرار تركيبى (أسلوبي) جزئي.**

أما التكرار التركيبي الأسلوبي في صورته **الجزئية؛** فيمثَّل إعادة صياغة لبعض العناصر الشكلية، أو تكرارًا ضمينـــاً للتركيب، نحو إعادة جزء من عبارة أو وحدة إسنادية من وحدات الجملة.

أما التكرار التركيبى الأسلوبي **الكلي؛** فيمثَّل إعادة كلية للتركيب. وكلاهما يحمل تأكيدًا دلاليـــاً وإيقاعيـــاً إضافة إلى البعد الأسلوبي، وذلك وفق مستويين من التكرارات:

| تكرار تركيبى (أسلوبي) كلي | تكرار تركيبى (أسلوبي) جزئي |
|---|---|
| المستوى الأعلى | المستوى الأقل |
| - أيها الناس اسمعوا قولي..<br>- أَمّا بَعْدُ أَيّهَا النّاسُ... | - إلى أن تلقَوا ربكم/ وإنكم ستلقَون ربكم<br>- كحرمة يومكم هذا/ وكحرمة شهركم هذا<br>- و إن أول دمائكم أضع/ أول ما أبدأ به<br>- لكم على نسائكم حقا/ ولهن عليكم حقا |

**٢) المصاحبة اللغوية (المعجمية)**

من أهم وسائل السبك المعجمى المصاحبة اللغوية، التى تمثَّل نوعـــاً من الاتساق الأسلوبي ذات المنحى الدلالي، وهو توارد زوج من الكلمات بالفعل أو بالقوة نظرًا لارتباطهما بحكم هذه العلاقة.(٩٣)

والمصاحبة اللغوية تبنى على علاقة تضام بين عنصرين، يربطهما مجال دلالى واحد، ووظيفة أحدهما تتطلب استدعاء الآخر، ولو ضمنيـــاًّ. هذا التوافق بين الطرفين يكون تواردا سلبيـــاًّ أو إيجابيـــاًّ أو توارداً علائقيـــاًّ، يحمل جانبـــاً تفسيرًا لهذه العناصر.

وهذه العلاقة تأخذ عدة صور، أبرزها:

- علاقة **التضاد** ( توارد سلبي)
- علاقة **التلازم** (توارد إيجابي)
- علاقة **الإدراج** (توراد اشتمال)، وهي أن وحدة لغوية تشتمل على مجموعة من الوحدات في أسلوب تنظيمي دلالي.

ومن شواهد المصاحبة وأنواعها في خطبة حجة الوداع على النحو الآتي:

| علاقة التضاد<br>( توارد سلبي) | علاقة التلازم<br>(توارد إيجابي) | علاقة إدراج<br>(توارد اشتمال) |
|---|---|---|

| | | |
|---|---|---|
| • تظلِمون (−) تظلَمون<br>• السموات (−) الأرض<br>• يحلونه (−) يحرمونه | • خطبة (+) (خطب، اسمعوا، قولي) | • (سنن، خطبة، منسك)(⊃) (حج)<br>• (يوم، شهر) (⊃) (عام)<br>• ( يؤدي، ائتمن) (⊃) الأمانة<br>• (يطع/ يعبد/ يضل..) (⊃) (العبادة) |

**ب) السبك النحوي**

يحدث السبك النحوى على مستوى التراكيب، ويهدف إلى ربط عبارات أو جمل متقاربة الموقع فى سياق النص. أما أنماط السبك النحوي الشائعة؛ فهي:

- **الإحالة Reference** - **الاستبدال Substitution**
- **الربط والاتصال Conjunction** - **الحذف Ellipsis**

وعلى الرغم من أن السبك النحوي يعد إحدى أبرز تطبيقات لسانيات النص(Text Lingustics)، ونحو النص (Text Grammar) على السواء؛ فإن حضوره اللافت في الأسلوبية الوظيفية يشير إلى قوة الاتصال بين هذين الاتجاهين. فيعد كل من: الحذف، والوصل، والفصل (الربط والاتصال) من أبرز ظواهر المستوى التركيبي في الأسلوبية، كما أن الإحالة (Reference) توازي الوظيفة المرجعية (Referential Function) للسياق (Context) في نموذج جاكبسون للتواصل اللغوي (Lingustic Communication).

**١- الإحالة وصورها في خطبة الوداع:**

تعد الإحالة ظاهرة نحوية ولسانية، بل وأسلوبية، وهي الأبرز حضورًا في عالم النص. فهي تشير إلى علاقة بين طرفين، ومن ثمَّ تمثِّل إشارة تواصلية سياقية، حيث يحيل فيها عنصر لاحق إلى عنصر آخر سابق فى سياق النص"[٩٤]. وقد وظِّفت في الإحالة مكونات نحوية وظواهر لغوية عدة، كإعادة الذكر، وتوظيف الضمائر وأسماء الإشارة والموصولات، وأسلوب المقارنات.

كما حرص اللسانيون على ضبط أنظمة الإحالة أكثر من نظرائهم الأسلوبيين؛ محاولة منهم لتمييز وظيفتها اللسانية. فقسموها قسمين؛ وفقـاً لسياق النص المباشر وغير المباشر. فوزعت الإحالة على إحالة **داخلية وخارجية**. وقسمت الإحالة الداخلية (السياق النصي المباشر) قسمين: إحالة **قبلية** إلى سابق الذكر، وإحالة **بعدية** إلى لاحق الذكر.

ففي الإحالة **الداخلية** إلى متقدم، يتم الإحالة إلى عنصر لغوى متقدم، لذلك قيل إنها إحالة بالعودة، حيث تعود المرجعية إلى "مفسر" أو عائد، سبق التلفظ به، ومنها يجرى تعويض لفظ المفسر، الذى كان من المفروض أن يظهر(٩٥).

وتعد الإحالة **القبلية** عملية استرجاع نصى، بالعودة إلى بؤرة الحدث، سواء أكان واقعة أم ذاتـاً. وتتسم علاقة الإحالة القبلية بالسياق المنطقي، فهناك الذكر الصريح ثم الذكر الضمني (الكلمة المرجعية). وتعد الإحالة القبلية الأكثر شيوعـاً بين علاقات التماسك النصي.

أما الإحالة **البعدية**، فهى إحالة إلى لاحق أو متأخر. وتبرز قيمة العنصر الإشاري في الإحالة البعدية فى توجيه الذهن صوب (القادم) أو ما سيأتي، مما يغاير مفهوم الإحالة إلى نحو التوقع والتأويل. ومما حملته خطبة حجة الوداع من الإحالات القبلية – وهي كثيرة– ما نصه:

– ثُمّ مَضَى رَسُولُ اللهِ – صلَّى اللَّهُ **عَلَيْه** وَسَلَّمَ– عَلَى **حَجّه**. (الضمير الهاء يعود على ما قبله (رسول الله).

– فَأَرَى النّاسَ **مَنَاسِكَهُمْ وَأَعْلَمَهُمْ** سُنَنَ **حَجّهِمْ**. (الضمير (هم) يعود على ما قبله ( الناس).

– وَخَطَبَ النّاسَ خُطْبَتَهُ الّتِي بَيّنَ **فِيهَا**.(الضمير(ها) يعود على ما قبله (خطبة).

– مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ثَلَاثَةٌ مُتَوَالِيَةٌ وَرَجَبُ مُضرَ، **الّذِي** بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ. (الاسم الموصول (الذي) يعود على ما قبله (رجب مضر).

في مقابل ذلك جاءت الإحالة البعدية في السياقات الآتية:

– الضمير في (به) يعود على ( أعمال أو الأعمال الحقيرة) في قوله: فَقَدْ رَضِيَ **بِهِ** بِمَا تُحَقّرُونَ مِنْ أَعْمَالِكُمْ فَاحْذَرُوهُ عَلَى دِينِكُمْ.

– الضمير في (به) يعود على (الأمر البيِّن، وهو الكتاب والسنة) في قوله: وَقَدْ تَرَكْت فِيكُمْ مَا إنْ اعْتَصَمْتُمْ **بِهِ** فَلَنْ تَضِلّوا أَبَدًا، أَمْرًا بَيّنًا، كِتَابَ اللهِ وَسُنّةَ نَبِيّهِ.

أما **الإحالة الخارجية**؛ فهي علاقة خاصة بين النص والمتلقى أو الجمهور المخاطب أوالموجه إليه النص. حيث يطرح النص حدثــاً أو ذاتــاً بصورة غير مباشرة مع وجود إشارة سياقية لهذا المحال إليه بطريق غير صريحة، بل تستنتج من السياق النصي، وهي تمثّل ربطــاً بين النص ومحيطه الخارجى. وتتوقف على وظيفة سياق فى النص وما يحيل إليه.

فقد جاء في قوله–ﷺ–: وَلَكِنّهُ إنْ يُطَعْ فِيمَا سِوَى **ذَلِكَ**. فــكلمة (ذلك) اسم إشارة للبعيد، يشير إلى كل الأفعال التي يغوي الشيطان بها العاصي، وهي مستنتجة، وغير مباشرة في النص، مما مثّلت الإحالة الخارجية انفتاحــاً في تأويل المقصود بالسياق، كما جاء قوله–ﷻ–: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف:٢٨]. فاختلف في المحال إليه

(مَن). فقيل هو من "شغل عن الدين وعبادة ربه بالدنيا"(٩٦)، وقيل المقصود به هو "عيينة والأقرع"(٩٧). أما في قوله-ﷺ-: "وَخَطَبَ النّاسَ خُطْبَتَهُ الّتِي بَيّنَ فِيهَا **مَا** بَيّنَ"؛ فـكلمة (ما) اسم موصول، يشير إلى كل التوجيهات، التي سيرد الحديث فيها في هذه الخطبة، وهي مستنتجة -أيضـًا- من سياق فحوى الخطبة.

أما قوله-ﷺ-:"**فَمَنْ** كَانَ **عِنْدَهُ** أَمَانَةٌ فَلْيُؤَدّهَا إِلَى **مَنْ ائْتَمَنَهُ** عَلَيْهَا"؛ فالموصول (من) والضمير في (عنده) أو(ائْتَمَنَه) يشير كل منهما إلى ذوات خارج نطاق النص، لكنَّ السياق يحدد المقصود بهذه المبهمات، فهي كل امرئ عامَّة، وكل مسلم خاصة، تولَّى أمانة أو من تعهد بالوفاء بها أو بأدائها.

**٢- الربط والاتصال في خطبة الوداع**

أما الربط والاتصال؛ فهو الصورة المناظرة للفصل والوصل في الأسلوبية. وتبرز عدة طرق للربط والاتصال، منها المعنوي والفظي. ويأتى العطف بعد الإحالة فى تأثيره فى عنصر السبك النحوى؛ لأنه يمثّل ربطـًا شكليـًّا ضروريـًّا بين وحدات النص زمنيـًّا وبنائيـًّا.

ويتحقق التماسك في جمل العطف؛ نتيجة توافر عدة عوامل هى: حرف العطف، العلامة الإعرابية، أفعال المشاركة معنى حرف العطف(٩٨). وتبدو قيمة العطف بارزة فى اقتران المفردات والجمل، فى حين يزيد عنصر التأويل فى العطف الضمنى عن طريق المجاورة بين كلمتين أو جملتين دون رابط بينهما؛ لتقوم علامات الترقيم وعنصر التقدير بديلا للعطف في هذه الحالة.

ولكن يبقى العطف بالحروف واحدًا من أبرز صور الربط، بدءًا من مستوى الألفاظ؛ وصولا إلى الجمل وكلية النص، مكونـــاً شبكة الربط الرئيسة الواضحة في أي نمط نصي. نحو ما جاء في سياق الخطبة في قوله-ﷺ-: "إنّ دِمَاءَكُمْ **وَ**أَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ"، وكذلك قوله-ﷺ-: "مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ثَلَاثَةٌ مُتَوَالِيَةٌ **وَ**رَجَبُ مُضَرَ".

أما الربط بالعطف في تراكيب الجمل؛ فشواهده كثيرة، أبرزها:

- "مَضَى رَسُولُ اللهِ -ﷺ- عَلَى حَجّهِ، **فَأَرَى** النّاسَ مَنَاسِكَهُمْ **وَأَعْلَمَهُمْ** سُنَنَ حَجّهِمْ **وَخَطَبَ** النّاسَ خُطْبَتَه".
- "فَحَمِدَ اللهَ **وَأَثْنَى**"
- "وَإِنّ كُلّ رِبًا مَوْضُوعٌ **وَلَكِنْ** لَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ **وَلَا** تُظْلَمُونَ"
- "وَكَانَ مُسْتَرْضَعًا فِي بَنِي لَيْثٍ **فَقَتَلَتْهُ** هُذَيْلٌ"
- "يُحِلّونَهُ عَامًا **وَيُحَرّمُونَهُ** عَامـــاً" .

فالربط والاتصال عملية نقل لحالة انعزال المفردات والجمل إلى حالة من الاتصال والتضام شكليـــاً ومعنويـــاً، إضافة إلى حالة التلازم الأسلوبي، التي يغلب أن تسيطر على عدد من التراكيب والأساليب التعبيرية، التي لا تقبل الانفصام نحو الإضافة والوصف، وكذلك في أسلوب الشرط، أوالقسم، أوالقول ...إلخ. فأسلوب النداء-على سبيل الذكر- في قوله -ﷺ-:"أَيّهَا النّاسُ اسْمَعُوا قَوْلِي" يمثّل علاقة اتصال بين المرسل-النبي(ﷺ)- ومستمعيه، قبل توجيه الرسالة، وقد عزز هذا الأسلوب بتضمينه طلب أمر الاستماع (اسْمَعُوا قَوْلِي)، وهو الواقع فعليـــاً؛ تأكيدا لأهمية الرسالة قبل إرسالها.

هذا الاتصال وجدواه لم يغب عن وعي الناقد العربي في بلاغة الأسلوب وجماله، حيث رأى "أنّ البلاغة إذا اعتزلتها المعرفة بمواضع الفصل والوصل كانت كاللآلئ بلا نظام"(٩٩).

**٣- الاستبدال في خطبة الوداع**

يعتمد السبك النحوي على مجموعة من العناصر الأخرى، تتكامل مع وظيفة الإحالة والعطف. مثل الاستبدال والحذف. ويمثل الاستبدال والحذف اتصالا ضمنيا بين الحاضر لفظا والمستدل عنه. أما الاستبدال؛ فيركز على عملية التبديل والتعويض، حيث إن حلول لفظ أو تركيب محل آخر يعنى عملية الربط بين العنصر الاستبدالى والمستبدل منه فى داخل النص، سواء كان اسمـــاً أو فعلاً أو قولاً. ومن شواهد الاستبدال في الخطبة ما نصه:

- "أَيّهَا النّاسُ **اسْمَعُوا** قَوْلِي" فهو قد يكون مستبدلا عن "عليكم أن تنصتوا" بدلا من السماع المجرد.
- "فَإِنّ الشّيْطَانَ قَدْ يَئِسَ مِنْ أَنْ يُعْبَدَ بِأَرْضِكُمْ هَذِهِ أَبَدًا، وَلَكِنّهُ إنْ يُطَعْ فِيمَا سِوَى **ذَلِكَ** فَقَدْ رَضِيَ بِهِ..."فلفظ (ذلك) يعد مكونـــا استبداليـــاً، حيث جاء اللفظ بدلا من سياق ممتد يشمل (كل الأفعال السيئة والحقيرة).
- "اللهُمّ هَلْ بَلّغْت؟" فَذُكِرَ لِي أَنّ النّاسَ قَالُوا: اللهُمّ **نَعَمْ** اللهم". فلفظ (نعم) يعد استبدالا عن جملة فعلية : نعم بلغت يا رسول الله.
- "فَإِنْ **فَعَلْنَ** فَإِنّ اللهَ قَدْ أَذِنَ لَكُمْ أَنْ تَهْجُرُوهُنّ فِي الْمَضَاجِعِ" . فالفعل (فَعَلْنَ) استبدل بدلا من "ارتكبن المعصية"، أو صدر منهن الفاحش" أو"عصين".

**٤- الحذف في خطبة الوداع**

أما الحذف؛ فقد نال عناية كبيرة من قبل كل من النحاة واللغويين والأسلوبيين على حدٍّ سواء، ولعل ذلك يرتبط بطبيعة الظاهرة الثنائية، سواء ما مثَّل عُدولا شكليـــاً أو انزياحـــاً أسلوبيـــاً.إضافة إلى ما يترتب عليه من اختصاص دلالي موجه ومقصود، بل حالة من التواصل، لم تغب عن النحاة العرب، نحو ما كشفه سيبويه عن علة توظيف الحذف، وعلاقته بالقصدية والمقبولية – تضمينـــاً – عند حدوث هذا الإجراء، بقوله: "وقولهم ليس أحد أي ليس –هنا– أحد، فكل ذلك حُذِف تخفيفـــاً واستغناءً بعلم المخاطَب بما يعني"(١٠٠).

وقد شاع الحذف بأنماط عدة وبمستويات مختلفة، تبدأ بالصوت وتصل إلى مستوى الجمل. ولعل كثرة التعرض للحذف وتناول صوره كان سببـــاً في استعماله بمصطلحات متقاربة، كالتخفيف والإضمار والاستغناء، كما ظهر عند أبي حيان بقوله:"وهوموجود في اصطلاح النحويين، أعني أن يسمى الحذفُ إضمارًا"(١٠١)

.أما **الحذف الأسلوبي التركيبي؛** فتزداد فاعلية توظيفه؛ لزيادة عنصر التأويل في سياق ممتد. فإذا كانت بعض العناصر النحوية تؤثر بوجودها، فهناك بعض العناصر المحذوفة، التى يؤدى حذفها إلى تأثير آخر(١٠٢)؛ ومن ثمَّ تبرز– هنا– وظيفة السياق فى حماية الخروج عن التأويلات الشاذة، والانتقال إلى مستوى ما هو أكثر احتمالا وترجيحـــاً؛ لأن السياق – هنا– يعد معوِّضـــاً عامـــاً عن تلك العناصر المحذوفة. ومن أبرز ما ورد في أسلوب الخطبة وحمل قابلية التأويل لسياق الحذف قوله –ﷺ–:

- الّتِي بَيّنَ فِيهَا مَا **بَيّنَ**..... أي: ما بيـــنَّه (من أمور وتوجيهات).

- لَا **تَظْلِمُونَ** ولَا **تُظْلَمُونَ**..... أي: لا تظلمون (أحدا).
- اللهُمّ هَلْ **بَلّغْت**؟..... أي: بلغت ذلك (النصائح والتشريعات).

**ثالثا: الحبك والأسلوبية الوظيفية في خطبة حجة الوداع**

يعد الحبك مقابلا تكميليـــاً في إحداث الاتساق المتوقع بين وحدات الجملة والنص. فهو ليس مجرد سمة من سمات النصوص، بل هو محصلة العمليات المعرفية بين مستخدمي النصوص(١٠٣). وهو يختص بالاستمرار المتحقق في عالم النص، أي: "الاستمرارية الدلالية، التي تتجلى في منظومة المفاهيم والعلاقات الرابطة بين هذه المفاهيم"(١٠٤).

**١ – المفاهيم**

وتقسم المفاهيم عامة إلى **مفاهيم أولية**، وهي المباشرة أو العامة الأكثر احتمالاً في توقعها ذهنيـــاً؛ لسرعة حضورها، فى مقابل ذلك تأتي المفاهيم الثانوية، التى تمثّل مفاهيم مساعدة، مترابطة ومتممة للمفاهيم الأولية؛ لتكوين المعرفة الكلية. أما المفاهيم الأولية؛ فتشمل: الأشياء، والمواقف، والحوادث، الأحداث(١٠٥).

أما **المفاهيم الثانوية**؛ فهى كثيرة وتضم:( الحالة، والعلاقة، والخاصة، و المكان، والزمان، والحركة، والأداة، والشكل، والجزء، والمادة...).ومن ثم كان من الطبيعي أن يشير الحبك المرتبط بالمفاهيم إلى تلك المفاهيم التي "يبدو أن محتوياتها متعلقة فيما بينها(١٠٦).

وجاءت المفاهيم الورادة في خطبة حجة الوداع متنوعة، مع قابلية جمعها في مفاهيم ذات نطاق جامع لكل مجموعة من المفاهيم، يشاكل ما يعرف بالحقل

الدلالي في التحليل الأسلوبي. وإن كان تقسيم المفاهيم في لسانيات النص يهدف لبناء شبكة مفهومية اتصالية واسعة، تربط المفاهيم الأولية بالثانوية، نحو:

| مفاهيم الأولية | مفاهيم ثانوية | | | | |
|---|---|---|---|---|---|
| | زمنية | مكانية | حدثية | ذوات | الأشياء |
| - الكفر<br>- حج<br>- ربا<br>- القتل<br>- حرام<br>- الأمانة<br>- الأخوة<br>- الظلم | - يوم<br>- عام<br>- شهر<br>- زمان<br>- رجب<br>- جمادى<br>- الجاهلية<br>- شعبان | - الموقف<br>- الأرض | - قتل هذيل<br>- النسيء<br>- إتيان الفاحشة المبينة<br>- الاستحلال( النكاح) | - الله<br>- الناس<br>- هذيل<br>- ابن الحارث<br>- بنو ليث<br>- الشيطان<br>- النساء | - الأموال<br>- الدماء<br>- الكسوة<br>- فرش |

**٢ – العلاقات**

أما العلاقات؛ فهى الروابط القائمة بين المفاهيم، التى تتجلى –معـــاً– فى عالم النص، وتشمل كل رابطة منها على تسمية للمفهوم، الذى تتصل به(١٠٧). وتتكون هذه العلاقات تبعـــاً لمكونات النص، وموقعها فيه. ويبرز الحبك في العربية واضحـــاً في العلاقات الدلالية العامة، التي تتنوع صورها على مستوى الألفاظ مثل الترادف، والمشترك اللفظي، وكذلك علاقات الترابط والاتصال. وقد جاء سياقها في الخطبة متداخلا مع عدد من علاقات السبك. وأبرزهذه العلاقات، التي تربط الحبك النصي بالبعد الاتصالي دعمـــاً لكلية التماسك، ما يأتي:

**أ- علاقة الترابط الكمي (الكلية، والجزئية)**

نحو ما جاء في في سياق قوله–ﷺ–:

-" فَأَرَى النّاسَ مَنَاسِكَهُمْ وَأَعْلَمَهُمْ سُنَنَ حَجّهِمْ" مثَّل لفظ "**حجّ**" بكل من "**سنن**"، و"**مناسك**" مؤشرًا لعلاقة الكلية.

- وكذلك قوله-ﷺ-:" إنّ الزّمَانَ...وَإِنّ عِدّةَ الشّهُورِ عِنْدَ اللهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ثَلَاثَةٌ مُتَوَالِيَةٌ وَرَجَبُ مُضَرَ". مثَّل لفظ "**الزمان**" بكل من "**الشهور**"، و"**اثنا عشر شهرًا**"، و"**منها أربعة**"، و"**ثلاثة متوالية**" مؤشرًا- أيضـــًا- للعلاقة الكلية. وعلاقة **التربط الكمي (الكلية)** تشير إلى أن دلالة اللفظ تستوعب – من الناحية الدلالية- سياق هذه الألفاظ التي هي جزء من السياق كمي الكلي. كما لوحظ استعمال الحرف "**من**" في قوله "**منها**" للتبعيض، تأكيدًا لهذه العلاقة.

في مقابل ذلك دلَّ لفظ **(رأس)** في سياق قوله-ﷺ-:"لَكِنْ لَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ" على علاقة الترابطى (الجزئية) ذات المؤشر المتدرج من (الأقل إلى الأكبر). بوصف الرأس جزءًا من الكل، حيث إن رأس المال- هنا – وهو أصله، يعد جزءًا من كل الأموال، سواء الأصل (رأس) مع الزيادة (الربا) . أما **علاقة المقارنة**؛ فلم ترد لها نماذج محددة في سياق الخطبة.

أما **علاقات الاتصال الدلالي**، فمنها الاتصال المنطقي، ومن أبرزها علاقة السببية والشرطية بطرفها: "السبب"، و"المسبب"، أو "الشرط" و"نتيجة". ولعل أبرزها شاهدا على ذلك قوله-ﷺ-:"فَإِنّ الشّيْطَانَ...إِنْ يُطَعْ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ فَقَدْ رَضِيَ بِهِ بِمَا تُحَقّرُونَ مِنْ أَعْمَالِكُمْ فَاحْذَرُوهُ عَلَى دِينِكُمْ". فهو سياق جامع للشرطية والسببية معا، حيث علاقة السبب (الحذر على الدين) بالمسبب (قبول الشيطان ورضاه أعمالكم) تتصل بعلاقة الشرطية، حيث الشرط (طاعة

الشيطان) ترتب عليها (رضاه بأحقر أعمالكم). فهذه العلاقات مشكل لقوة الحبك، وقرينة على نجاح العلاقة الاتصالية بين ظاهر البنية ومضمونها.

**- خاتمة**

سعى هذا البحث إلى تقديم رؤية خاصة حول علاقة الأسلوبية الوظيفية – خاصة وظيفية جاكبسون– بكل من البنية النَّحْوِيَّة ومعايير التماسك النصي، خاصة معياري السبك والحبك. وجاء التحقق من هذه العلاقات تطبيقـــاً على نص محدد، هو خُطْبة حِجَّة الوَدَاع ذات البعد الأسلوبي والاتصالي الفريد في الخطاب النبوي. وفقـــاً لذلك جاءت المعالجة في مقدمة ومدخل وثلاثة مباحث. ركزت المباحث على خصائص النظرية الأسلوبية الوظيفية، وأبعاد توظيف العناصر النحوية فيها، وعلاقتها بمعايير التماسك النصي، خاصة السبك والحبك. مما حمل عدة ملاحظات، مثَّلت نتائج تحليل الظاهرة البحثية وأبعادها، جاءت على النحو الآتي:

- اتسم نحو الجملة في العربية بتمازج الاتجاهات بصورة متفاوتة، مما يتطلب قراءة تراثية، تعيد النظر في وصفه–على جهة الإطلاق– بالمعيارية. فهناك آثار عدة للتداولية في مفهوم القصد وتحقق الإفادة، والتواصل اللغوي في علاقات كالإسناد، واللزومية، خاصة في الجمل الوصفية والإضافة، وكذلك البعد الأسلوبي الوظيفي في خصائص بعض أساليب الجملة كالنداء، والشرط، والقسم.
- على الرغم من أن النحو المعياري لا يسير مع الأسلوبية، لاختلاف غاية كل منهما؛ فإن انتقال النحو المعياري إلى الوصفي فالوظيفي وسَّع مهام

النحو، لتبنى علاقة جديدة بين النحو والأسلوب؛ مما فتح الباب للاهتمام بعناصر أخرى ذات أثر فاعل في كلا النسقين نحو السياق والقصدية.

- شكلت العلاقة الجديدة بين النحو والأسلوب، خاصة مع تطور الدراسات اللسانية ما يمكن وصفه بالنحو الأسلوبي (Stylistic Grammar)؛ بعدما أدرك الأسلوبيون أهمية المكون النحوي في بناء الأسلوب ووظيفته في تحديد أنواع الأساليب المختلفة.
- أفادت النصية (Textuality) من سمات النحو والأسلوبية – معـاً– في بناء نظامها القائم على أن النص– بأكمله– وحدة متكاملة، لا سلسلة من الجمل المتوالية، بل منظومة نحوية ودلالية واتصالية.
- يمكن الترجيح أن التحول من الجملة إلى ما بعدها على أثر علاقاتها بغيرها من الجمل والأساليب ثم كلية الكلام أو الخطاب كان مرحلة طبيعة في نشاط الدراسات اللسانية، وحتمية فرضها التراكم المعرفي والتمازج بين الأنساق والعلوم المعرفية المختلفة والدرس اللساني، خاصة: علم الاجتماع، وعلم النفس، وعلوم الاتصال.
- ظهر تقارب بين معايير النصية وغايتها من جانب، وعناصر التواصل اللغوي ووظائفها من جانب مناظر؛ مما وجَّه عددًا من اللسانيين إلى طلب وضع حدود لهذه المعايير النصية والاتجاه اللساني برمته، منعـاً للتداخل، الذي قد يضعف الجانب اللساني وظائفه؛ على أثر تغلل الجانب النقدي الأسلوبي في لسانيات النص.
- كشف البحث حالة التقارب بين عدد من ظواهر السبك والانزياح الأسلوبي، نحو كل من: الحذف، والوصل، والفصل (الربط والاتصال)، كما أن الإحالة (Reference) توازي الوظيفة المرجعية (Referential Function)

للسياق (Context) في نموذج جاكبسون للتواصل اللغوي( Lingustic Communication).

- لم يغب مفهوم الانزياح عن النحو العربي منذ وضع أصوله، ولكنه شاع بدلالات أخرى، نحو "العدول"، و"المخالفة"، و"كسر القاعدة"؛ وصولا إلى أعلى مستويات الانزياح، وهو "الشذوذ". ومثَّلت أدلة النحو- التي تفرَّعت منها فروعه وفصوله- المحددات النحوية المباشرة للحكم على الاستعمال اللغوي. فالانزياح (العدول) في النحو جاء مضبوطـــاً، وقابلا للتوجيه، أما في الأسلوبية ؛ فهو غير مقيد، ويمثَّل المحدد الرئيس للأسلوب.
- على الرغم من تميز النحو القاعدي بالأقيسة والضوابط؛ فإن الانزياح (العدول) النحوي كان حاضرًا في عدة ظواهر أسلوبية، أبرزها ما جاء في العدول في البنية،والإعراب، وأنماط الربط والرتبة، والتضام، والعدول عن المعنى الأصلي بالمجاز. وهو ما برزت كثير من صوره في ظواهر الانزياح في مستويات التحليل الأسلوبي المختلفة.
- أظهر البحث تأصيلا خاصـــاً لظاهرة التكرار. فعلى الرغم من شيوع الجانب الجمالي الأسلوبي لها؛ فإنه ظاهرة نحوية تركيبية، ارتبطت في النحو العربي بباب التوابع، مع إشارة سيبويه للقصدية فيها .
- كشف البحث جهد اللسانيين وحرصهم على ضبط أنظمة الإحالة أكثر من نظرائهم الأسلوبيين؛ تمييزًا لوظيفتها اللسانية، وذلك بتقسيماتها المختلفة؛ وفقا لسياق النص وعناصره. وهو كما ظهر- تطبيقـــاً- في خطبة الوداع.
- أوضح تحليل أسلوب خطبة الوداع تضمنها إعادة صيغ معجمية بكثافة أسلوبية مختلفة؛ تبعـــاً لأهمية عنصر الاتصال أو الرسالة، ومثَّل هذا مؤشرات ذات مستويات مختلفة لأكثر مناطق التواصل اللغوي نشاطـــاً

واستمرارا من قبل المرسل- النبي(ﷺ)- إلى المتلقي (الحاضرون/ كل مخاطب عامة).

- جاءت الإحالة القبلية الأكثر شيوعـــاً بين علاقات التماسك النصي في خطبة حجة الوداع، كما برز العطف بالحروف أبرز صور الربط فيها، سواء على مستوى الألفاظ أو الجمل وكلية النص.
- مثَّل أسلوب النداء-على سبيل الذكر- في قوله -ﷺ-:"أَيّهَا النّاسُ اسْمَعُوا قَوْلِي" علاقة اتصالية خاصة بين المرسل- النبي(ﷺ)- ومستمعيه، قبل توجيه الرسالة، وقد عزز هذا الأسلوب بتضمينه طلب أمر الاستماع (اسْمَعُوا قَوْلِي)، وهو الواقع فعليـــاًّ؛ تأكيدا لأهمية الرسالة قبل إرسالها.

وغير ذلك من الملاحظات، نحو انفتاح التأويل في الحذف والإحالة البعدية، وكذلك تعدد أنماط العلاقات الدلالية في الخطة، مما حملته مناقشات البحث.

والله وليُّ التوفيق

والحمد لله رب العالمين

**الحواشي والتعليقات:**

(١) ابن هشام: مغني اللبيب، ص٤٩٠.

(٢) الرماني: رسالة الحدود، ص ٦٧-٦٨.

(٣) ابن جني: الخصائص، ١٨١/٣

(٤) الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص ٤٢٠.

(٥) محمد خطابي: لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، ص١٣.

(٦) محمد خطابي، المصدر السابق، ص ٢٩.

(٧) أحمد عفيفي: نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، ص ٢٤.

(٨) ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، ٩٢/٣.

(٩) الجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، مادة (سلب)، ١/ ١٤٨-١٤٩.

(١٠) الزَّبيدي: تاج العروس، مادة (سلب)، ٧١/٣.

(١١) ابن منظور: لسان العرب، مادة (سلب)، ٤٧٣/١.

(١٢) الأزهري: تهذيب اللغة، ٣٠٢/١٢.

(١٣) الفيومي: المصباح المنير، مادة (سلب) ، ص ٢٨٤.

(١٤) ابن سيدة: المخصص، ٣٠٩/٣.

(١٥) الزمخشري: أساس البلاغة، ١١١/١.

(16) Katie Wales: A Dictionary of Stylistics, 2001, P. 158.

(17) Geoffrey Leech & Mick H. Short: Style in fiction, 2007, P. 9.

(١٨) عبد السلام المسدي: الأسلوب والاسلوبية، ص٢٤٨.

(١٩) إبراهيم فتحي: معجم المصطلحات الأدبية، ص٢٨

(٢٠) محمد عناني: المصطلحات الأدبية، ص ١٠٦.

(٢١) محمد عبد المطلب: قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني، ص٣١.

(٢٢) ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ص ٦٣١.

(٢٣) بيير جيرو: الأسلوبية، ص ١٧.

(٢٤) محمد عبد الله جبر: الأسلوب و النحو، ص ٦.

(٢٥) عبد السلام المسدّي: الأسلوبية والأسلوب، ص ٣٤.

(٢٦) رجاء عيد: البحث الأسلوبي معاصرة وتراث، ص ٣١.

(٢٧) ينظر: يوسف أبو العدوس :الأسلوبية: الرؤية والتطبيق، ص ٣٨-٣٩ .

(٢٨) دي سوسير:علم اللغة العام، ص٣٢.

(٢٩) يوسف أبو العدوس، المصدر السابق، ص ٩١.

(٣٠) بيير جيرو: الأسلوبية، ص ١٣.

(٣١) ينظر: منذرعياشي: مقالات في الأسلوبية، ص١١.

(٣٢) ينظر: عبد السلام المسدي: الأسلوب والأسلوبية، ص٥١.

(٣٣) ينظر: بيير جيرو: الأسلوب والأسلوبية، ص ٣٢-٨٧.

(٣٤) الطاهر بومزبر: التواصل اللساني والشعرية، ص ٢٣.

(٣٥) ومن أشهرها دراسات: الاتجاهات الأساسية في علم اللغة، ترجمة على حاكم صالح و حسن ناظم، ٢٠٠٢م، والقيمة المهيمنة: نظرية المنهج الشكلي، ترجمة إبراهيم الخطيب، ١٩٨٢م. وعدد كبير من المؤلفات الأخرى التي ألفها وحده، أو اشترك معه آخرون، نحو:

- Closing Statement: Linguistics and Poetics," in Style in Language (ed. Thomas Sebeok), 1960
- Phonological Studies, Selected Writings (ed. Stephen Rudy). The Hague, Paris, Mouton 1962
- Word and Language Selected Writings (ed. Stephen Rudy). The Hague, Paris, Mouton 1971.
- Questions de poetique, París: Seuil, 1973.

– قضايا الشعرية، ترجمة: محمد الولي ومبارك حنوز، ١٩٨٨م.

- The Poetry of Grammar and the Grammar of Poetry, Selected Writings (ed. Stephen Rudy). The Hague, Paris, Mouton 1980
- Dialogues, (With K. Pomorska), 1983
- Language in Literature,( ed. Krystyna Pomorska & Stephen Rudy), 1987.

(36) R. Jakobson: Closing statements: Linguistics and Poetics, 1960, pp.353-357.

(٣٧) ينظر: جاكبسون: قضايا الشعرية، ص ٣٠.

(٣٨) ينظر: هنريش بليت: البلاغة والأسلوبية نحو نموذج سيميائي لتحليل النص، ص٢٤.

(٣٩) ينظر: أحمد الشايب: الأسلوب، ص١٨.

(40) Edgar H. Sturtevant: An Introduction to Linguistic Science,1947, p.52

(٤١) جون كوهن: بنية اللغة الشعرية، ص١٥.

(٤٢) العسكري: الصناعتين، ص٥٨ .

(٤٣) ابن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ٣/٢٨٠.

(٤٤) الفرزدق: ديوان الفرزدق، ص ٣٨٦، وينظر: القرشي: جمهرة أشعار العرب، ص ٦٩٩؛ وابن: جني: الخصائص، ١/١٠٠؛ والمحتسب، ١/١٨٠،٢/٣٦٥؛ وابن منظور: لسان العرب، مادة (سحت)، ٢/٤١، ومادة (مجلف)، ٩/٣١؛ والبغدادي: خزانة الأدب،١/ ٢٣٧. و"مجلف" من: جلفت الطين عن الأرض: قشرته، وجلفت اللّحم عن العظم: كشطته. السرقسطي: كتاب الأفعال، ٢/٢٨٩.

(٤٥) الأنباري: نزهة الألباء في طبقات الأدباء، ص٢٧.

(٤٦) فأوَّل ابن يعيش ذلك بقوله:"ألا ترى أنّه رفع "أو مجلّف" على معنَى: "بقِي من المال مُسْحَتٌ". شرح المفصل، ١/١٠٤، ووجه الربعي علي بن عَدْلان التخريج حمل على المعنى بأكثر من وجه بقوله:"رفع مجلف طريقان: أحدهما أنّه محمول على المعنى، لأن معنى لم يدع: لم يبق وهو قول أبي علي. والثاني: مجلف مبتدأ، وخبره محذوف، و(أو) عاطفة جملة اسمية على جملة فعلية". الانتخاب لكشف الأبيات المشكلة الإعراب، ص ٥٩.

(٤٧) بيير جيرو: الأسلوبية ، ص ٢٥.

(٤٨) محمد عبد الله جبر: الأسلوب والنحو، ص ١٨.

(٤٩) عبد السلام المسدي: الأسلوب والأسلوبية، ص٦٧.

(٥٠) الجرجاني: أسرار البلاغة، ص٤.

(٥١) ينظر: عبد السلام المسدي: المصدر السابق، ٩٥.

(٥٢) أدلة النحو الغالبة أربعة. قال ابن جني في الخصائص: "أدلة النحو ثلاثة: السماع، والإجماع، والقياس".وقال ابن الأنباري في أصوله:"أدلة النحو ثلاثة: نقل، وقياس، واستصحاب حال". فزاد الاستصحاب، ولم يذكرالإجماع، فكأنه لم ير الاحتجاج به في العربية، كما هو رأي قوم". السيوطي: الاقتراح، ص١٤. فمحل الاتفاق عند الأصوليين: السماع، و القياس، والإجماع. أما استصحاب الحال؛ فلقلة ما جاء فيه محل خلاف.

(٥٣) ابن جني: الخصائص، ١/٩٨.

(٥٤) ابن جني: السابق، ١/٩٨-٩٩.

(٥٥) الصبان: حاشية الصبان، ٣/٤٠٢.

(٥٦) الشاطبي: مقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية، ١/٣٤٤.

(٥٧) ينظر: تمام حسان : البيان في روائع القرآن، ص١٠.

(٥٨) الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص ٤١٢.

(٥٩) فيلي ساندريس: نحو نظرية أسلوبية لسانية، ص٢٢.
(٦٠) السيوطي: الإتقان في علوم القرآن ،١٣٩/٢
(٦١) السيوطي: معترك الأقران في إعجاز القرآن، ١/ ٤٥.
(٦٢)الجاحظ: البيان والتبيين، ٧٥/١.
(٦٣) الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص ٥٥.
(٦٤) ينظر: تون فان ديك: النص والسياق، ص١٧٧.

(65) F. de Saussure: Course in general linguistics, 1959, p.16.

(٦٦) برون ويول: تحليل الخطاب، ص ٣٠.
(٦٧) ينظر: نعمان بوقرة: المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب: دراسة معجمية، ص١٤٠.
(68) R. de Beaugrande & W. Dressler: Introduction to Text Linguistics, 1981, P.2.

(69) De Beaugrande: New Foundations for a Science of Text, 1997, P.3.

(٧٠) بيير جيرو: الأسلوبية، ص ١٠٠.
(٧١) الطاهر بومزبر: التواصل اللساني والشعرية، ص٥٢ .
(٧٢) رومان جاكبسون: الاتجاهات الأساسية في علم اللغة، ص٥٧.
(٧٣) ينظر: فولفجانج هاين مينه وديتر فيهيفجر: مدخل إلى علم اللغة النصي، ص ٢١.
(٧٤) ابن دريد: جمهرة اللغة. مادة (سبك)، ٣٣٩/١.
(٧٥) الكفوي: كليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، ص ٢٤٤.
(٧٦) ابن دريد: المصدر السابق، مادة (حبك)، ٢٨٢/١.
(٧٧) ينظر: أحمد فارس الشدياق: الجاسوس على القاموس، ص ٢٤٢.
(٧٨) آرسطو طاليس: فن الخطابة، ١٠٠/١.
(٧٩) الجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، مادة (خطب)، ١/ ١٢١
(٨٠) عبد الجليل عبده شلبي: فن الخطابة وإعداد الخطيب، ص١٣.
(٨١) أحمد محمد الحوفي: فن الخطابة ص .٥.
(٨٢) المقدسي: صفة النبي -ﷺ- وأجزاء حديثية أخرى، (جمع)،١٥٩/١.

(٨٣) هو محمد بن إسحاق بن يسار صاحب السيرة مولى فارسي.لا تذكر تاريخ ميلاده؛ والرجح أن يكون في حدود أواخر المئة الأولى للهجرة في سنة (٨٥هـ). ينظر: كارل بروكلمان: تاريخ الأدب العربي،١٠/٣، وفؤاد سركين: تاريخ التراث العربي، مج١-٢، ص٨٧. وإن كان الإمام الذهبي ذكر أنه ولد قبل ذلك، بقوله: "ولد ابن إسحاق سنة ثمانين". الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٣٤/٧. روى ابن إسحاق عن أنس. واهتم بتدوين أحاديث الأحكام وإن كانت شهرته الأبرز في السيرة، حتى عده الإمام الذهبي أول من دوّن العلم بالمدينة، قبل مالك وذويه. أما وفاته مع خلاف حولها فكانت ببغداد في سنة (١٥١هـ) أو(١٥٣هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء، ٣٥/٧.

(٨٤) ابن هشام : السيرة النبوية، ٦٠٣/٢، والسهيلي: الروض الأنف، ٥٠٥/٧.

(85) R. De Beaugrande & W. Dressler: Introduction to Text Linguistics, 1981, p 3.

(86) Ibid, p.12.

(٨٧) بشير إبرير: من لسانيات الجملة إلى عالم النص، ص ٣٦.

(٨٨) ابن حجة الحموي: خزانة الأدب وغاية الأرب، ٣٦١/١.

(٨٩) صلاح فضل: علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، ص ٢٥.

(٩٠) سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان: الكتاب. ١٢٥/٢.

(٩١) جميل عبد الحميد: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، ص٨٤.

(٩٢) يحدث تداخل-أحيانا- بين الاسم الشامل وبعض علاقات الترابط الدلالي، كالكلية والجزئية. والحد بينها هو المعيار وسياق استعمال الوحدة من الشكل أو الدلالة.

(٩٣) صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي بين النظرية و التطبيق، ١/ ٤٢.

(٩٤) تمام حسان: اجتهادات لغوية، ص١٥٥.

(٩٥) سعيد حسن بحيري: دراسات لغوية تطبيقية، ص١٠٨.

(٩٦) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ١٥٤/٥.

(٩٧) الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، ٣١/١٨.

(٩٨) صبحي الفقي: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ٢٥٩/١.

(٩٩) العسكري: الصناعتين، ٤٩٧.

(١٠٠) سيبويه: كتاب سيبويه، ٣٤٦/٢.

(١٠١) أبو حيان: البحر المحيط في التفسير، ٨٦/٢.

(١٠٢) محمد حماسة عبد اللطيف: الجملة في الشعر العربي، ص٧٤.

(103) Beaugrande & Dressler: Introduction to Text Linguistics, 1981, p. 13.

(١٠٤) سعد مصلوح: نحو أجرومية للنص الشِّعريّ: قراءة في قصيدة جاهلية، ص١٥٤.

(105) Beaugrande & Dressler, op. cit., p. 13.

(106) Murphy & Medin: The role of theories in conceptual coherence, 1999, p. 427.

(107) Beaugrande & Dressler: Introduction to Text Linguistics, 1981, p 12.

## المصادر والمراجع:


- **القرآن الكريم.**
- إبرير، بشير.(٢٠٠٤). **من لسانيات الجملة إلى عالم النص**، مجلة الموقف الأدبي، ع. (٤٠١)، س.(٤).
- ابن الأثير، ضياء الدين نصر الله بن محمد. (٢٠٠٠). **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية بيروت.
- آرسطو طاليس.(١٩٥٠).**فن الخطابة**،ترجمة: إبراهيم سلامة، الأنجلو المصرية، القاهرة.
- الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد.( ٢٠٠١). **تهذيب اللغة**، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- الأنباري، أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن. (١٩٨٥). **نزهة الألباء في طبقات الأدباء**، تحقيق: إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الأردن، ط٣.
- الأندلسي، أبوحيان محمد بن يوسف.(١٩٩٣). **البحر المحيط في التفسير**، تحقيق عادل عبد الموجود وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت.
- بحيري، سعيد حسن.(٢٠٠٥). **دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية و الدلالة**، مكتبة الآداب، القاهرة.
- بروكلمان، كارل.(١٩٧٧).**تاريخ الأدب العربي**، دارالمعارف، القاهرة، ط٤.
- براون،ج. ويول،ج. (١٩٩٧). **تحليل الخطاب**، ترجمة محمد لطفي الزليطني ومنير التريكي، النشر العلمي والمطابع، جامعة الملك سعود، الرياض.
- البغدادي، عبد القادر بن عمر(١٩٩٧). **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب**، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٤.
- بليت، هنريش.(١٩٩٩).**البلاغة والأسلوبية**: نحو نموذج سيميائي لتحليل النص، ترجمة : محمد العمري، دار افريقيا الشرق، الدار البيضاء.
- بوقرة، نعمان.( ٢٠٠٩). **المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، دراسة معجمية**، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن.
- بومزبر، الطاهر. (٢٠٠٧). **التواصل اللساني والشعرية: مقاربة تحليلية لنظرية رومان جاكبسون**، منشورات الاختلاف والدار العربية للعلوم – ناشرون، الجزائر.
- الجاحظ، عمرو بن بحر(٢٠٠٢). **البيان والتبيين**،دار ومكتبة الهلال، بيروت

- جاكبسون، رومان. (١٩٨٨). **قضايا الشعرية**، ترجمة: محمد الولي ومبارك حنوز، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء.
- جاكبسون، رومان. (٢٠٠٢). **الاتجاهات الأساسية في علم اللغة**، ترجمة: على حاكم صالح وحسن ناظم، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء.
- جبر، محمد عبد الله. (١٩٨٨). **الأسلوب والنحو، دراسة تطبيقية في علاقة الخصائص السلوبية ببعض الظاهرات النحوية**، دار الدعوة، الإسكندرية.
- الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن.(١٩٩١). **أسرار البلاغة**، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة – جدة.
- الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن. (١٩٩٢). **دلائل الإعجاز في علم المعاني**، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، جدة، ط٣.
- ابن جني، أبو الفتح عثمان.(١٩٥٢). **الخصائص**، تحقيق: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، القاهرة.
- ابن جني، أبو الفتح عثمان.(١٩٩٩). **المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها**، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة.
- الجوهري، إسماعيل بن حماد. (١٩٩٩). **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤.
- جيرو، بيير.(١٩٩٤). **الأسلوبية**، ترجمة منذر عياشي، حلب، مركز الإنماء الحضاري، ط٢.
- جيرو، بيير.(١٩٨٥).**الأسلوب والأسلوبية**، ترجمة منذرعياشي،مركزالإنماء القومي، بيروت.
- حسان، تمام. (١٩٩٣). **البيان في روائع القرآن: دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني**، عالم الكتب، القاهرة.
- حسان، تمام. (٢٠٠٧). **اجتهادات لغوية**، عالم الكتب، القاهرة
- الحموي، ابن حجة تقي الدين أبو بكر بن علي.(٢٠٠٤). **خزانة الأدب وغاية الأرب**، تحقيق: عصام شقيو، مكتبة الهلال، بيروت.
- الحوفي، أحمد محمد.(١٩٩٦). **فن الخطابة**، دار النهضة مصر، القاهرة.
- خطابي، محمد.(١٩٩١). **لسانيات النص**، مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، بيروت.
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد.( ٢٠٠٩). **مقدمة ابن خلدون**، تحقيق: درويش الجويدي، المطبعة العصرية بيروت.

- ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن.( ١٩٨٧). **جمهرة اللغة**، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت.
- دي سوسير، فردينان.(١٩٨٥). **علم اللغة العام**، ترجمة: يوئيل يوسف عزيز، دار افاق العربية، القاهرة.
- الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد. (١٩٨١). **سير أعلام النبلاء**، تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- الربعي، علي بن عَدْلان بن حماد.(١٩٨٥). **الانتخاب لكشف الأبيات المشكلة الإعراب**، تحقيق: حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢.
- الرماني،علي بن عيسى.(١٩٨٤). **رسالة الحدود**، تحقيق: إبراهيم السامرائي، دار الفكر، عمان.
- الزَّبيدي، مرتضى محمّد بن محمّد .(٢٠٠٤). **تاج العروس من جواهر القاموس**، تحقيق عبد الكريم العزباوي، المجلس الوطني للثقافة و الفنون والآداب، الكويت.
- الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود.(١٩٩٨). **أساس البلاغة**، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ساندريس، فيلي.(٢٠٠٣).**نحو نظرية أسلوبية لسانية**، ترجمة: خالد محمود دار الفكر، دمشق.
- السرقسطي، أبو عثمان سعيد بن محمد، المعروف بـــ"ابن الحداد".(١٩٧٥). **كتاب الأفعال**، تحقيق: حسين محمد محمد شرف، مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة.
- سركين، فواد.(١٩٩١). **تاريخ التراث العربي**،السعودية، منشورات جامعة الإمام.
- السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن.(٢٠٠٠). **الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام**، تحقيق: عمر السلامي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان .(١٩٨٨). **الكتاب** "**كتاب سيبويه**"، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣.
- ابن سيدة، أبو الحسن علي.( ١٩٩٦). **المخصص**، تحقيق: خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن.(١٩٧٤). **الإتقان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٤.
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن.( ١٩٨٨). **معترك الأقران في إعجاز القرآن**، دار الكتب العلمية، بيروت.

- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن.(٢٠٠٦). **الاقتراح في علم أصول النحو**، قرأه وعلق عليه: محمود سليمان ياقوت، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.
- الشاطبي أبو إسحق إبراهيم بن موسى.(٢٠٠٧). **مقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية (شرح ألفية ابن مالك)**، تحقيق: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى، مكة المكرمة.
- الشايب، أحمد.(٢٠٠٣). **الأسلوب**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط١٢.
- الشدياق، أحمد فارس.(١٨٨٢).**الجاسوس على القاموس**، مطبعة الجوائب، قسطنطينية.
- شلبي، عبد الجليل عبده .(١٩٨٧). **فن الخطابة وإعداد الخطيب**، دار الشروق، بيروت، ط٣.
- الصبان أبو العرفان محمد بن علي.(١٩٩٧). **حاشية الصبان على شرح الأشمونى لألفية ابن مالك**، دار الكتب العلمية، بيروت.
- الطبري محمد بن جرير.(٢٠٠٠). **جامع البيان في تأويل القرآن**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- عبد الحميد، جميل. (١٩٩٨). **البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية**، الهيئة المصرية العامة للكتب، القاهرة.
- عبد اللطيف، محمد حماسة. (١٩٨٩). **الجملة في الشعر العربي**، مكتبة الخانجي، القاهرة.
- أبو العدوس،يوسف.(٢٠٠٧).**الأسلوبية:الرؤية والتطبيق**، دار المسيرة للنشروالتوزيع،الأردن.
- العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله.(١٩٩٩). **الصناعتين**، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العنصرية، بيروت.
- عفيفي، أحمد.(٢٠٠١). **نحو النص،اتجاه جديد في الدرس النحوي**، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة.
- عناني، محمد .(٢٠٠٣). **المصطلحات الأدبية: دراسة ومعجم إنجليزي عربي**، الشركة المصرية العالمية للنشر– لونجمان، ط٣.
- عياشي، منذر.(١٩٩٠). **مقالات في الأسلوبية**، اتحاد الكتاب العرب، دمشق.
- عيد، رجاء(١٩٩٣). **البحث الأسلوبي معاصرة وتراث**، دار المعارف مصر.
- ابن فارس، أحمد.(١٩٧٩). **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، دمشق.
- فان ديك، تون.(١٩٧٧).**النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي**، ترجمة عبدالقادر قنيني، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء.

- فتحي، إبراهيم.(١٩٨٨). **معجم المصطلحات الأدبية**، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين، تونس.
- الفرزدق، همّام بن غالب.(١٩٨٧). **ديوان الفرزدق**، شرحه وضبطه: علي فاعور، دارالكتب العلمية، بيروت.
- فضل، صلاح.(١٩٩٨).**علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته**، دارالشروق،مصر.
- الفقي، صبحي إبراهيم.(٢٠٠٠).**علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: دراسة تطبيقية على السور المكية**، دار قباء للطباعة، الإسكندرية.
- الفيومي، أحمد بن محمد.(١٩٨٧). **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، المكتبة العلمية، بيروت.
- القرشي، أبو زيد محمد.(١٩٨١). **جمهرة أشعار العرب**، تحقيق: علي محمد البجادي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر.(٢٠٠٠). **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق مصطفى السيد محمد وآخرين، مؤسسة قرطبة، القاهرة.
- الكفوي، أبو البقاء أيوب. (١٩٩٨). **كليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- كوهن، جون .(١٩٨٦). **بنية اللغة الشعرية**، ترجمة: محمد الوالييومحمد العمري، دار توبقال، الدار البيضاء.
- عبد المطلب، محمد .(١٩٩٥). **قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني**، الشركة المصرية العالمية للنشر– لونجمان، القاهرة.
- المسدي، عبد السلام.(١٩٨٢).**الأســلوب والأسلوبية**،الدار العربية للكتاب، تونس، ط٣.
- مصلوح، سعد. (١٩٩٢). **نحو أجرومية للنص الشِّعريّ: قراءة في قصيدة جاهلية**، مجلة فصول، المجلد (١٠)، عدد(١–٢).
- المقدسي، الضياء محمد بن عبد الواحد. (٢٠٠٤). **صفة النبي–ﷺ– وأجزاء حديثية أخرى (جمع)**، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، دار ابن حزم، بيروت.
- ابن منظور، محمد بن مكرم. (١٩٩٤). **لسان العرب**، دار صادر، بيروت.
- هاين مينه، فولفجانج. وفيهيفجر، ديتر. (١٩٩٨). **مدخل إلى علم اللغة النصي**، ترجمة: فالح بن شبيب العجمي، جامعة الملك سعود، الرياض.

- ابن هشام، جمال الدين عبد الملك.(١٩٥٥). **السيرة النبوية لابن هشام**، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط٢.
- ابن هشام، جمال الدين عبد الله.(١٩٨٥). **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، تحقيق: مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، دمشق، ط٦.
- ابن يعيش، أبو البقاء، موفق الدين.(٢٠٠١). **شرح المفصل للزمخشري**، تقديم: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت.


## II. References


- De Beaugrande, R. (1997). *New Foundations for a Science of Text and Discourse: Cognition, Communication and the Freedom of Access to Knowledge and Society* (Advances in Discourse Processes, V. LXI), Norwood, NJ. : Ablex.
- De Saussure, Ferdinand. (1959). *Course in general linguistics*, Trans. by Wade Baskin, New York: Philosophical Library.
- Dr Beaugrande, R. A. & Dressler, W. G. (1981). *Introduction to Text Linguistics*. London: Longman.
- Jakobson, R. (1960). *Closing statements: Linguistics and Poetics, Style in language*, Cambridge Massachusetts, MIT Press.
- Leech, Geoffrey N. & Michael H. Short. (2007). *Style in Fiction: A Linguistic Introduction to English Fictional Prose*, 2ed Ed., London & New York: Longman.
- Murphy, G. L., & Medin, D. L. (1999). The Role of Theories in Conceptual Coherence. In *E. Margolis & S. Laurence* (Eds.), Concepts: Core reading (pp. 425-458). Cambridge, MA: MIT Press.
- Sturtevant, E. H. (1947). *An Introduction to Linguistic Science*, New Haven: Yale University Press.
- Wales, Katie. (2001). *A dictionary of stylistics*, New York: Longman.

# Functional Stylistics between Grammatical Structure & Textual Cohesiveness

## An Etymologizing Propose of Stylistic Arabic Grammar in Sermon of Hajj al-Wadā

**Abstract**:

This research, which is entitled " Functional Stylistics between Grammatical Structure and Textual Cohesiveness: An Etymologizing Propose of Stylistic Arabic Grammar in Sermon of Hajj al-Wadā" sought to investigate the relationship between the functional stylistics - especially R. Jacobson's functional stylistics – and both of the grammatical structure and text grammar. There is a resemblance between the theory of stylistics & some grammatical elements & its function as well as the standards of textual cohesiveness, which are offered by text grammar recently. This relationship is considered a corresponding relation, which reveals what might be called Stylistic Grammar in our Arabic linguistic heritage; it is an Arabic introduction and etymologizing for the evaluating of situation & transferring from sentence grammar to text grammar through some stylistic grammatical contexts, because many samples of stylistic phenomenon benefited from the components of the grammar study. This benefit has emerged more deeply and in detail in the standards of textuality. These relationships are applied by a specific text, it`s Sermon of Hajj al-Widā, so the descriptive approach in this research combines between theoretical & applied side to analyze the case in several chapters, that demonstrate descriptive stylistic theory & use of grammatical elements, and how all of this merged into the criteria of textual cohesiveness, especially cohesion and coherence.

**Keywords: Stylistics; Cohesiveness; al-Widā Sermon; Text; Function.**